التاريخ يعيد نفسه

- **التاريخ يعيد نفسه**
- **عبد الله بن خالد شمس الدين**
- **الطبعة الأولى 2021**
- **الكويت**

جميع الحقوق محفوظة للناشر: لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب
أو أيّ جزءٍ منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكلٍ
من الأشكال دون إذنٍ خطيٍ مُسبقٍ من الناشر.

All Rights Reserved. No part of this book may be
reproduced, stored, in a retrieval system, or by any means
without the prior written permission of the publisher.

darrwajd@gmail.com @darwajd

الردمك: **978 - 1 - 953680 - 91 - 4**

التاريخ يعيد نفسه

(24 قصة قصيرة)

الخطاب بين أطراف القصة بالأمثال الشعبية، والأشعار، والحكم.

عبد الله بن خالد شمس الدين

2021

دار وجد
للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى من ربياني صغيرًا..

إلى من أدّبني..

إلى من زادني علمًا..

إلى من أخلص في إهداء عيوبي..

إلى من شجّعني للاستمرار في مسيرتي العلمية..

إلى من قسا عليّ فلم يزدني إلا مثابرة واجتهادًا..

إلى كل من له حقٌّ عليّ..

إلى هؤلاء وأمثالهم أهدي هذه المجموعة القصصية.

شكر وعرفان وامتنان

يطيب لي أن أشكر كل من ساندني وشجعني وتابعني حتى رأت مجموعتي القصصية النور وحلّت بين أيديكم راجيًا أن تحوز إعجابكم.

وأخص بالشكر الباحث القدير أ. خالد عبدالقادر عبدالعزيز الرشيد لتشجيعه المستمر لي على مواصلة القراءة في بطون كتب الأدب واللغة والمعاجم. لا سيما كتب الأمثال والكنايات والأقوال الشعبية التي استفدت منها كثيرا في بناء مجموعتي القصصية.

والشكر موصول إلى أ. خليل السلامة المدقق اللغوي للمجموعة والذي نوّرني بتوجيهاته وملحوظاته المهمة التي أسهمت في رؤية مجموعتي النور بالشكل الأفضل.

ولا نستغني عن ملحوظاتكم وآرائكم حتى نتلافى كل تقصير في طبعات قادمة إن شاء الله.

محبكم/
عبدالله بن خالد شمس الدين
الكويت / 2021

المقدمة

القصص التي تكتب لحل المشكلات؛ قد يكون موضوع المشكلة متكررًا عبر الأزمنة والأمكنة، ولكن بصيغ مختلفة وأساليب مختلفة ومتطورة أيضًا، وحلها كذلك قد يختلف من شخص إلى آخر، ومن حالة إلى أخرى.

فالحوادث التاريخية من مصائب ومآسٍ تتكرر بسبب اتخاذ مسلك غير صحيح مشابه لما مضى، فالاطلاع على سير الأمم يعينك ويختصر لك الطريق ويغنيك عن اتخاذ مواقف غير سوية في أغلب الأحيان.

فكم رأينا من غني افتقر، وفقير اغتنى، وضعيف استعاد قوته، وقوي افتقد قوته. وكم رأينا من يتكلم بما لا يعرف فقالوا عنه: "يهرف بما لا يعرف".[1] وكم رأينا من يفتي في شتى المجالات، وهو لا يعرف التاء من الباء. ويشير الناس إليه ساخرين منه قائلين: "أبو العرّيف".[2] وكم رأينا ممن احتقروا الطيب والصالح، وكم وكم..

وقد يعيش المرء بعد هذه التجارب غير الموفقة من علاقات اجتماعية ونحوها في ضنك شديد وحزن عميق حائرًا فاقدًا للصواب،

(1) يهرف: يمدح.
(2) كناية عمن يدّعي معرفة شيء على خلاف حقيقته.

فيقول في نفسه: "ذهب الناس، وبقي النسناس".[1] وإذا قيل له: "لماذا كل هـذا الحـزن الـذي تعيشـه؟". فيردّ: "شـرقت فيك يـا ماي، وش أدفعك فيه".[2] فيقرر في نهاية المطاف أن العزلة هي الحل الوحيد لما يقاسـيه، ويكف عن التواصل مع النـاس مطلقًا. وفي الحقيقة، من أراد صديقًـا بلا عيوب عاش حياته بـلا أصدقاء. وكما يقولون: "الجنة من دون ناس ما تنداس».[3] فهذا حال الدنيا، وهذا حال الناس، وإن صح التعبير: «مجاملة الناس شر لا بد منه».

ولا أزعم بأني مثالي، ولكني أردت مشـاركة غيري بالمشـاعر ذاتها التي مروا خلالها، والبلاء واقع علينا لا محالة، ولا ينفع حذر من قدر، فجميل أن نرفه عن أنفسنا بهذه الأدبيات. وأخيرًا وليس آخرًا، قال ابن نباتة:

يا مشتكي الهم دعه وانتظر فرجًا

ممن يفرج كربات المساكيـن

واصبر على محن الأيام ذا جلد

ودار وقتك من حين إلى حين

(1) النسناس: الوحوش أو البهائم أو نحو ذلك.
(2) مثل دارج في الكويت. معناه: إذا شرق المرء بالماء، فماذا يستخدم للتخلص من الشرقة؟ يُضرب لمن أوذي من أعزّ ناسه.
(3) تنداس: تُداس، أي: توطئ.

ولا تعاند إذا أصبحت في كـدر

من النوائب واستقبله باللين

هيهات هيهات أن تصفو بلا كدر

فإنما أنت من ماء ومن طين

إساءة الظن

كان محمد وعبدالله صديقين حميمين، وكان الناس يحسدونهما على ما يتمتعان به من نعمة الصداقة والمحبة وغيرهما من الصفات الطيبة. ووصل حسد الناس لهما إلى أن قال صاحبهما ويُدعى سيف: أهذان توأمان؟ أم هما حبيبان؟ فلم يتشاجرا أبدا؟ أإنس هما أم جان؟

فردّ عليه بلال مذكرا بالله: اذكر الله وبَرِّك لهما، فقد أخبرنا النبي ﷺ أن نُبرِّك[1] إن رأينا ما أعجبنا.

تغيَّر وجه سيف:

-اللهم بارك لهما.. ولكن حقا.. ألا يملّان؟ ألم يفكر واحد منهما أن يقول للآخر: «حيّ الله من زار وخفف»؟[2]

-يا ليل ما أطولك.. بل أنا أقول لك ولحسدك: «حسبناك يا ضيف خفيّف، طلعت يا ضيف تشتّي وتصيّف»! تكلم في موضوع آخر نافع. أليس عندك ما يشغلك عنهما؟

انتفض سيف من مجلسه غاضبا من رد بلال عليه ولم يعجبه، وهذا حال الحسود، وهيهات للحسود أن يسود!

(1) التبريك: اللهم بارك له.
(2) مثل دارج في كثير من الدول العربية. يقال عندما يطيل الزائر الجلوس.

صرّخ بلال بصوتٍ عالٍ: «يا داخل بين القشر والبيض اطلع يا خايس الريح»[1].. لا تتدخل فيما لا يعنيك فتسمع ما لا يرضيك!

وفي اليوم التالي انقطع محمد عن صديقه عبد الله، واستمر على هذا الحال لمدة أسبوعين لأسباب غامضة لم يعرفها أحد، بعدما كان يزوره بين الفينة والأخرى.

وبينما سيف وبلال يسران معًا، رأيا عبد الله في طريقهما. فانتهز سيف هذا الموقف وقال لعبدالله: هكذا هم الناس، وقت الحاجة يأتونك هرولة، ويتركونك بعد أخذ ما يحتاجون، وصدقوا في الأمثال حينما قالوا: «عندما تنتهي المصالح، الحلو يصير مالح».

تدخل بلال قائلا: يا عبد الله، إبليس لم يمت، ولا تسمع إلى كلام النمّامين، فهم لا يرتاحون حتى يفرقوا بين المرء وزوجه! وتذكر أن «من نمّ لك نمّ بك»ّ.

لم ينطق عبد الله بحرف واحد، وذهب مسرعا وهو يفكر بغضب ويوسوس لنفسه: هل يعقل أن يتخلى عني محمد بعد هذا العمر؟ حقا الناس تتغير، والدنيا ليس فيها خير.. و«الفلوس تغيّر النفوس».

وبعد مرور ستة أشهر تقريبا التقى محمد بعبدالله صدفة، فقال عبد الله معاتبًا محمدًا:

(1) مثل كويتي. خايس: النتن. وقريب منه في مصر: يا داخل بين البصل وصنتها ما ينوبك إلا ريحتها.

-ما شاء الله.. «مصير الحي يتلاقى»[1].. الناس تأتيك وقت الحاجة، وتنساك وقت الشدة.. صدق الذي قال: «يعطيني شرقة بريقي، أعرف عدوي من صديقي».[2]

-«ليس من العدل سرعة العذل».[3]

قاطعه عبد الله:

-وما عذرك يا ابن الناس؟ أتوقع إنك تراني مثل العقرب، فقلتَ في نفسك «مكان العقرب لا تقرب»!

-يا أخي، ألم تسمع قول من قال (الغائب حجته معه)؟

-هذا الذي تحسنه أنت وأمثالك، تبحثون عن مبررات لكم، ولا تلتمسون العذر لغيركم وتنهشون من لحومهم! كما قالوا: (في الوجه مرايا وفي القفا حربايا).[4]

-هذه المرة الثانية تقاطعني، ولا تعطيني فرصة للكلام، وربما أنت الآن تفعل ما تنهى عنه من بحث عن مبررات لنفسك كأن تهجم بدلا

(1) مثل مصري. يقال عند اللقاء بعد انقطاع طويل.
(2) مثل شامي. «يعطيني شرقة في ريقي» كناية عن حصول المتاعب والمصائب. ومعنى المثل: عند المصائب أعرف العدو من الصديق لأن هناك من يقف معي وهناك من يتخلى عني.
(3) العذل: اللوم.
(4) مثل شامي. في الوجه مرايا: يوافقك في أقوالك ويمدحك. و«في القفا حربايا»: يخالفك ويذمك إذا غبت. والحربايا: الحرباء التي تتغير لونها بين الفينة والأخرى.

من أن تسأل عني أو تلتمس لي العذر على الأقل. وأُقول لك تذكر قول الشاعر:

تأنّ ولا تعجل بلوم لصاحب

لعل له عذرا وأنت تلومُ

اندهش عبدالله وكأنه كان في حلم:

-تفضل.. فكلي آذان مصغية لك.

-مات أبي الذي كنت أتخذه سبيلا لرضا الرب، كما قالوا: (رضا الأب من رضا الرب).[1] وتزوجت وماتت زوجتي بعد أيام قليلة من الزواج.. كما يقولون: «جاءت العروسة تفرح وما لقت لها مطرح»![2] وأمي تصارع المرض.. وهذا حال الدنيا.. «يوم لك ويوم عليك».. و«من سره زمن ساءته أزمان».. ولا أعلم عن ظروفك، ولم أكلمك لهذه الأسباب.

(1) وله أصل في الشرع. قال النبي ﷺ: (**رضى الرب في رضى الوالد ، وسخط الرب في سخط الوالد**) رواه الترمذي (1899) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (516).

وقال ﷺ: (**الوالد أوسط أبواب الجنة**) رواه الترمذي (1900) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (914).

(2) هذا المثل يضرب لعدم اكتمال الفرح بوقوع بلاء أو نحو ذلك.

-لماذا لم تأتِ إليّ ولم تكلمني آنذاك؟ فأنا صديقك، و«الصديق وقت الضيق»، فإن لم أقف بجانبك ولم أنفعك في هذا الوقت، متى سأقف بجانبك؟

-لم آتِ إليك عندما حصل ما حصل لأني أعلم أن ليس بيدك شيء، وإنما «الأمر بيد الله من قبل ومن بعد»، والحمد لله على كل حال.

-حقا كما قالوا: «الذي لا يعذر الناس ليس من الناس».

العبرة من القصة: العين حق، فلنحصن أنفسنا بالأدعية المأثورة عن النبي ﷺ، ولنحرص على أذكار الصباح والمساء. وأيضا ليُعلم أن المقاطعة في الكلام، وسرعة الحكم على الشخص قبل الاستفسار ومعرفة الحال من أسباب تدمير العلاقات. وكم هو جميل أن نلتمس العذر للآخرين وأن نبادر بالسؤال عنهم حين يغيبون قبل أن يسألوا عنا.

الدردشـــــــة مع الشخص الخطأ !

أحمد وسعد صديقان منذ الطفولة، ترعرعا سويًّا في حي واحد ومدرسة واحدة حتى كبرا وتخرجا من الثانوية والتحقا في جامعة واحدة وتخصص واحد!

وفي هذا دلالة على أن هناك أمورًا مشتركة بينهما كالفهم والفكر، كما أن علاقتهما وطيدة وقوية لا يستطيع أحد أن يفرّق بينهما..

تزوجا في آن واحد وفرح الجميع بذلك.. حتى قال كثير منهم في العرس: «حق وافق اطبقه، سبحان رب اخلقه».[1]

أنجبا الأطفال وأيضا فرح الجميع بذلك، ولكن الطامة الكبرى حصلت عندما كبر الأبناء.. فأبناء سعد متعثرون في الدراسة ما عدا واحد، ولا يجيدون معرفة «التاء من الباء». بينما أبناء أحمد متفوقون وكما يقال «يفهمونها وهي طايرة».[2]

وفي ذات يوم تفاجأ أحمد بأن أبناءه يصاحبون رفاق السوء، وكما يقال: «لا يظل شيء على حال»، و«دوام الحال من المحال».

(1) مثل دارج في الكويت. الحق: وعاء خشبي. اطبقه: الغطاء. وقريب منه في الفصحى: (وافق شنٌّ طبقه).

(2) كناية عن سرعة معرفة الشيء، ويعرفون المقصد حينما تخرج الكلمة من الفم فورا.

والإنسان تتغير أطباعه وأخلاقه عبر الزمان والمكان بحسب المحيط والبيئة ما لم يتدارك نفسه، فقد قالوا: «الحي يقلب».[1]

قال أحمد لسعد بكل حزن راجيًا من الله أن يكون سببًا في حل مشكلة ابنه:

-ابني بدأ يماشي أصحاب السوء وأخشى أن يفسد.. فالسمكة الخَايسة تخيّس السمك كله.[2]

-الصاحب ساحب.. ولو كان ابنك صالحًا حقًا من البداية لجرّهم إلى الصلاح! وإنما تريد أن ترمي عيوبك وعيوب ابنك على غيرك.

-«حسبتك موسى طلعت فرعون»![3]

-: أنا فرعون؟ «نسينا ما كلينا»؟[4]

-إنا لله وإنا إليه راجعون.. لا أريد سماع أيّ شيء.. أخطأتُ يا أخي.. آسف.. «لا تعايرني ولا أعايرك، الهمّ طايلني وطايلك».[5]

(1) يقلب: يتغير. ومن دعاء النبي ﷺ: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.
(2) مثل دارج في الكويت. الخايسة: النتنة. تخيّس: تنتن. ومعنى المثل: «السمكة النتنة تنتن السمك كله». والمثل يضرب لتأثير صاحب السوء على من يصاحبه.
(3) مثل دارج في مصر، ومعناه: حسبتك صالحا وستقف بجانبي ولكن تبين أنك عكس ذلك. وفي دول الخليج بلفظ: «بغيتك عون طلعت فرعون».
(4) كلينا: أكلنا. وهذه مقولة تقال لتذكير الغير بنعمه أو تفضله عليهم فيما سبق، أو ستره على أفعال شنيعة له في الماضي.
(5) طايلني: واصلني. طايلك: واصلك.

وهكذا هم بعض البشر عندما تشتكي إليهم بعض أفراد أسرتك، يتجرأ عليهم وربما يسبهم! ونسي أن المرء لا يرضى على أهله السوء وإن اشتكى من بعض تصرفاتهم، فقد قالوا في الأمثال: «أدعي على ولدي، وأكره اللّي يقول آمين»![1]

ذهب سعد وقال للناس: ابن صديقي أحمد منحرف وهو «من برا هالله هالله، ومن داخل يعلم الله».[2]

اندهش الناس من تصرف سعد، حيث كانوا يغبطونه على علاقته الوطيدة مع أحمد. فقال أحد الناس: كيف يتكلم على صديق حياته بهذه الطريقة؟ ولكن لا لوم عليه، فهو لم يربّ أبناءه بطريقة سليمة، فمن باب أولى أنه ليس فيه خير لأصحابه، وكما يقولون: «اللّي ما فيه خير لأهله ما فيه خير للناس».[3]

ذهب أحمد إلى البيت وهو لا يدري بِمَ يفكر، بابنه الذي من لحمه ودمه، أم بصديقه الذي أفنى عمره معه في السراء والضراء ولم يختلفا قط في حياتهما؟ فأحيانا تصيب المرء صدمات متتالية لا يدري بأيهم يبدأ.

(1) اللّي: الذي. والمثل يضرب لمن ينتقد أقرب الناس له، ويكره أن ينتقده غيره رغم انتقاده هو.
(2) برا: الخارج. هالله هالله: يقال عند المدح. والمثل يضرب لمن باطنه يخالف ظاهره.
(3) اللّي: الذي.

وبعد هذا الموقف الأليم لم يكلم أحدهما الآخر، والناس - كعادتهم- فضوليون، فهم يتساءلون عما جرى بينهما بدون قصد إصلاح ذات البين أو نحو ذلك، وإنما مجرد حب معرفة.. فمنهم من يزيد في القصة ومنهم من ينقص منها، وجميعهم بعدما يفتون عما حصل بينهما، يقولون في آخر كلامهم: والله أعلم!

ومع مرور ثلاثة أشهر وهم على هذه الحالة، حتى تحسنت أخلاق أصحاب ابن أحمد.. فاندهش سعد! فولده الوحيد الذي كان صالحا وموفقًا في دراسته أصبح متعثرًا ويكره الذهاب إلى المدرسة.

التقى سعد بأحمد:

-صدق من قال: (من عيّب ابتلى).[1]

-يا سعد أنت أخي وحبيبي ولن أتشمت بك لأن كما يقولون: «لا تشمت بأخيك فيعافيه الله ويبتليك»... واعلم بأنه يؤذيني ما يؤذيك، ولا أحمل بقلبي شيئا على ما حصل، ولكني أحببت أن أقول لك أبياتا من الشعر. قال الشاعر:

لا تهتكن من مساوي الناس مستترا

فيهتك الله سترا من مساويكا

(1) معنى المثل: الذي يعيب غيره، يبتليه الله بشيء مثله أو قريب منه.

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا

ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

العبرة من القصة: بعض المواقف تبين لك الصديق من غيره.. وتعرف من يقلب المحاسن إلى معائب، ومن يقلب المعائب إلى محاسن.. وتعلم أن «اللّي لا يدانيك يخرب معانيك»،[1] ومن طبيعة المرء أنه يحتاج إلى شخص ليعينه، ولكن بعد التعامل سرعان ما يصدم المرء ممن يحسن به الظن، ويود التخلص من شره بدلا من مد يد العون له. وفي هذا قال الإمام الشافعي -رحمه الله-:

جزى الله الشدائد كل خير

وإن كانت تغصصني بريقي

وما شكري لها حمدا ولكن

عرفت بها عدوي من صديقي

(1) اللّي: الذي. يدانيك: يتحملك أو يحبك. معانيك: صفاتك الحسنة.

أيّهـــم أفضـــل البنـــــات أم البنون؟!

خالد وفاطمة زوجان يحبان بعضهما بعضًا، وعاشا في سعادة لمدة سنة كاملة، ومن ثم حملت فاطمة، وهنا كانت بداية تغيير اتجاه حياتهما.

ذهبا إلى الطبيب المختص ليعرفا نوع الجنين، أذكر أم أنثى؟ والعلم عند الله في حقيقة الأمر، وإنما هي اجتهادات بشرية قد تصيب وقد تخيب.

قال الطبيب لخالد بعد الفحص وبكل ثقة:

-إنه ولد! هنيئا لك.. هذا ما تبين معي من خلال الفحص، وفوق كل ذي علم عليم.

-بشّرك الله بما تحب يا دكتور.. صحيح أنه لا فرق بين الذكر والأنثى إلا بالتقوى، ولكن أثلجت صدري! بشّرك الله ومن تحب بالجنة.

انصرفا من عند الطبيب حتى ركبا في السيّارة فقالت فاطمة مداعبة خالدا:

-«يلّي مالو بنات، ما حدا بيعرف امتى مات».[1]

(1) مثل شامي. يلّي: يا الذي. مالو: ما له. ما حدا: ما أحد. بيعرف: سيعرف. امتى: متى.

-»فال الله ولا فالك«! ما هذا الكلام؟! تتكلمين عن الموت؟!
«فالك ما قبلناه».[1]

-المرء عمره أيام وليال.. ثم إنهم يقولون: «البنت هدية والصبي بلية».[2] فلماذا أنت فرح جدا وكأنهم بشروك بأنك من أهل الجنة؟!

-إذا كان الكلام من فضة، فالسكوت من ذهب.

سكتت فاطمة وعلمت أن خالدا لن يقنع إلا أن يكون ولدا، وإن ولدت ببنت فلن يكون الأمر حسنا على الإطلاق، ولربما قامت قيامتها بلا ذنب وقع منها.

فأرادت تلطيف الجو، فقالت:

-يا خالد.. ألم تسمع إلى قول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾.[3] وما سماه الله -جل جلاله وتقدست أسماؤه- هبة فهو بالشكر أولى؟ هل توافقني يا زوجي العزيز؟

كاد خالد أن يفقد أعصابه وينفجر ولكن تمالك نفسه.. ثم فكّر قليلا:

(1) من الأقوال الدارجة في الكويت. تقال حينما يقال للمرء ما لا يعجبه من الشر ونحو ذلك.
(2) مثل شامي. بلية: بلاء.
(3) سورة الشورى، آية 49.

-أرجوك.. لنغير الموضوع أو لنسكت أفضل.

سكتت فاطمة بعد ذلك وهي تفكر بمصيرها وهي قلقة جدا على المستقبل.

وبعد أشهر.. حان موعد الولادة... ولدت فاطمة.. والمولود يصيح.. خرج الطبيب إلى خالد قائلا:

-أبارك لك يا خالد، زوجتك بخير والعافية، وكذلك المولودة.

رفع خالد صوته:

-نعم؟ مولودة؟ لعلك أخطأت يا دكتور.. أنا خالد زوج فاطمة.. وقد بشّرتني بذكر عندما جئناك لنفحص عن جنس الجنين..

-نعم أعرف ذلك.. ولكن جلّ من لا يسهو.. ومعرفة الجنين أمر توقعي وليس من الأمور التي نجزم بها.. فلا يعلم الغيب إلا الله.

دمعت عينا خالد وهو مندهش من كلام الطبيب.. وانصرف الطبيب مسرعًا قبل أن يجهش خالد بالبكاء.

وبعد نصف يوم أفاقت فاطمة ووجدت عندها زائرات.. قالت إحداهن بكل سرور: «اللّي يحبها زمانها تنجب بناتها قبل صبيانها».[1]

(1) مثل دارج في فلسطين. اللّي: الذي. يقال تسلية وتشجيعا وتفاؤلا لمن رزقها الله ببنت.

استغربت فاطمة هذا الخبر وجاء كالصاعقة على قلبها، فقالت في نفسها: ماذا يحصل؟ ماذا يقولون؟ هل هذا حلم أم حقيقة؟ أين أنا؟

قالت لهم فاطمة بعدما رجع عقلها: ماذا تقولون؟ بناتها قبل صبيانها؟ لم أفهم؟

قالت أخرى: «يلّي حظها قوي، بتجيب البنت قبل الصبي».[1]

قالت فاطمة: يعني أنا ولدت بنتا؟

قالت الثالثة: نهنئك.. قد أنجبتِ طفلة جميلة تشبهك تماما! نغبطك على هذه الطفلة البريئة.

قالت فاطمة -مستغربة هذا الخبر وهي تفكر بحال زوجها-: «الخير فيما اختاره الله».

جاءت أم خالد بحضور الزائرات قائلة: يا مخلفة البنات.. يا شايلة الهمّ للمات![2]

استغرب الحضور فانصرفن فورا، وانصرفت بعدهن أم خالد حتى لا تتكلم مع كنتها.

وجاء خالد إلى المستشفى ورأى أمه، ولم يرغب بالدخول ليرى زوجته.

(1) مثل شامي. يلي: يا الذي. بتجيب: تؤتي.
(2) مثل شامي. شايلة: حاملة.

وجاء الزائرون فجأة إلى خالد -وهو حزين-، فقالوا له:

-نبارك لك يا خالد على البنت الجميلة.. «أبو البنات شايل على كتفو حسنات».[1]

-حامل على كتفي حسنات؟ والله أخشى أن أكون «حامل حتفي على كتفي».[2]

انصرف الناس مستغربين.. وظل الأب الحزين يفكر في مصيره وكأنما حُكم عليه بالإعدام!

مرّ على غرفة مجاورة قد ولدت امرأة للتو.. وسمع الزوج يضحك من الفرح لأنه رزق ببنت، وبدأ ينشد:

أحبّ البنات، فحبّ البنات

فرضٌ على كل نفس كريمة

لأن شعيبا لأجل البنات

أخدمه الله موسى كليمـه

قال خالد في نفسه: «اللّي إيده في الماي مو مثل اللّي إيده في النار»[3].. طبعا عنده ذكور قبل هذه المولودة!

(1) مثل شامي. شايل: حامل. كتفو: كتفه.
(2) حتفي: موتي. والمثل يضرب لمن يسلك مسلك الهلاك فيهلك نفسه.
(3) مثل دارج في الكويت. اللّي: الذي. ايده: يده. الماي: الماء. مو: ليس.

ثم رأى امرأة بارة بوالدها المريض وتقوم بخدمته، فجاء أخوها العاق يصرخ في وجه أبيه يريد المال ليشتري سيارة فارهة لأن أصحابه يضحكون على سيارته التي عنده، وأخته تنهره وتوبخه.

اندهش خالد من هذا الموقف وبدأ يراقبهم..

قالت أخت الشاب المستهتر:

-انظر لنفسك! بدلا من أن تحافظ على أخلاقك وتطوّر من نفسك تهتم بالكماليات والمظاهر؟ تقول هذا الكلام وأبوك على الفراش مريض؟ أبوك تعب عليك حتى ربّاك وعلمّك أفضل تعليم.. تفعل به هكذا؟

صرخ الأخ وهو خارج من الباب:

-هذا ما تحسنونه! نعم.. همّي المال.. «اللّي ما عنده فلس ما يسوى فلس»!

رجع خالد إلى فاطمة وأهله صارخا:

-الذي يأتي من الله حياه الله! أنا راض! كيف لا أرضى ما قسمه الله لي؟ لله در الشاعر حينما قال:

فلو كان النساء كمثل هذي

لفضلت النساء على الرجال

وما التأنيث لاسم الشمس عيب

ولا التذكير فخر للهلال

العبرة من القصة: أحيانا لا ندري أين الخير، فهو من المستقبل الغيبي، وفي إخفائه عبر وحكم. فأحيانا تكون البنت صالحة والابن طالحا، وأحيانا العكس، ولهذا قال تعالى في آية الميراث: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾.[1]

(1) سورة النساء، آية: 11.

جمال المنظر أم جمال الأخلاق؟

تخرّج إبراهيم في الجامعة وظل يبحث عن عمل بلا جدوى.. فقال في نفسه: ناس لا تعرف «الخمسة من الطمسة» وعندهم وظائف، وأنا قد تعلمت في أفضل الجامعات وأفضل التخصصات ولا أستطيع الحصول على وظيفة محترمة؟! حقا إن «الدنيا معكوسة، تزرع بصل يطلع كوسا».[1]

وهذه هي حقيقة الحياة الدنيا، فليس شرطًا أن تحصل على كل ما تريد أو تظن أنك تستحق، فيوم القيامة يأتي النبي وليس معه أحد كما أخبرنا نبينا ﷺ.

وجاء خبر قبول إبراهيم في وظيفة محترمة، وفرح بذلك إبراهيم وأهله وأحبابه وهنأوه بذلك، فقال لأهله:

أشكر لكم على تهنئتكم.. وأتمنى أن تكملوا فرحتي.

ثم سكت هنيهة..

فقال أبوه: وكيف ذلك؟

قال إبراهيم: أودّ أن أكمل «نصف ديني».

قالت أمه: هذه الساعة المباركة، وهنيئا لمن تكون أنت زوجها.

(1) كوسا: نوع من صغار القرع تطبخ ثماره.

قال الأب: الزواج جميل وخطوة طيبة، ولكن عليك حسن الاختيار، وإلا ستندم على اختيارك فترة طويلة أو ربما طوال حياتك.

فقال إبراهيم: وكيف أعرف الصالحة من الطالحة؟ لا أعلم الغيب.. ولا يعلم الغيب إلا الله.

قالت أمه: «اقلب القدرة على فمها تطلع البنت على أمها».

قال إبراهيم: ما شاء الله.. أم الأمثال لم تترك شيئا.

قال أبو إبراهيم: صحيح كلام أمك، ف»العرق دساس».

قالت أمه: تريد الصراحة يا إبراهيم؟ لا أريدك أن تتزوج.. «عشرة أصهرة على باب داري، ولا كنة تكشف أسراري».

قال إبراهيم: ماذا؟

قالت أمه: أمزح معك.

قال إبراهيم: «أبو مزاح إن شفته وإلا راح».[1] ربما حقا تقصدين ما قلتِ!

قالت أمه: لا تثرثر.. اخترت لك مريم بنت جيراننا.. ما رأيك يا أبا إبراهيم؟

(1) مثل دارج في الكويت معناه: الذي يحتال عليك إن كشفته سيقول لك: كنت أمزح معك. وإن لم تكشفه مرر كذبته عليك.

قال أبو إبراهيم: ونعم الاختيار. ما رأيك يا إبراهيم؟

قال إبراهيم: أنعم وأكرم.. فهم جيراننا منذ أكثر من عشرين سنة ولم نرَ منهم إلا كل خير.

وفي اليوم التالي، ذهبت أم إبراهيم إلى أم مريم لتكلمها في الموضوع، فقالت أم إبراهيم بعد الترحيب والحديث الطويل:

-يا أم مريم.. جئت لأطلب يد مريم لابني إبراهيم، فما رأيك؟

-ما شاء الله.. هذه الساعة المباركة يا أم إبراهيم.. ونعم الرجل إبراهيم.. ولماذا نرفض؟ «خود الأَصيل ونام عالحصير».[1] ولكن كما تعرفين، لا بد أن نأخذ رأي البنت، فإن قبلت فقد أحسنت الاختيار، وإن رفضت فليس الأمر بالقوة. «أنا أريد، وأنت تريد، والله يفعل ما يريد».

-أحسنت يا أم مريم.. و»رحم الله من جمع رأسين بالحلال».[2]

ذهبت أم مريم إلى ابنتها وقالت لها مباشرة دون مقدمات -وبكل فرح-:

-جاءت أم إبراهيم اليوم لتخطبك لابنها إبراهيم.. «زغرطي يا انشراح.. الجي أحسن من اللّي راح».[3]

(1) مثل شامي. خود: خذ. الأصيل: أصيل الأخلاق. عالحصير: على الحصير.
(2)جمع راسين بالحلال: كناية عن التوفيق بين اثنين للزواج.
(3) مثل مصري. زغرطي: من الزغروطة وهو الصوت الذي تطلقه المرأة من فمها في الأعراس فرحا. الجي: القادم.

-ولماذا أنت فرحة جدا يا أمي؟

- ولِمَ لا أفرح؟ إبراهيم صاحب أخلاق ودين وعنده شهادة عليا ووظيفة مرموقة. أم أن «سخلة الفريج ما تحب إلا التيس الغريب»؟

- لا، ولكن دعيني أفكر.

أم مريم لم تدعها تفكر، وكلمت أباها فورا حتى ضغطا عليها فوافقت دون إعطائها فرصة.

قالت أم مريم: انتبهي لزوجك في المستقبل وكوني له كالفراش، ونفذي ما يطلبه منك ولا تتكبري عليه، واطبخي له ما لذ وطاب، ولو طلعت البنت على المريخ آخرتها على الطبيخ.

سكتت مريم وهزت رأسها بالإيجاب وذهبت إلى غرفتها حزينة لا تعرف ما مصير هذا الزواج إن تحقق..

وفي يوم الخطبة التقى إبراهيم بمريم، وكانت حزينة، ويتضح في وجهها علامات الحزن والرفض، ففهم ذلك إبراهيم وانصرف إلى أبويه قائلا لهم: لا أريد الزواج.

قالوا له: لِمَ؟! هل أنت تمزح؟!

قال: لا أريد.. لا تجبراني.

وبعد نقاش طويل، أجبراه على الزواج. وتزوج إبراهيم عن رغبة أهله، حتى حان وقت الدخلة، فقالت مريم لإبراهيم: صحيح لم أكن موافقة من البداية، ولكن الآن قد «وقع الفأس بالرأس»، لنبدأ صفحة جديدة، و«اللّي فات مات».[1]

علم إبراهيم أن مريم عاقلة من هذه الكلمات التي قالتها، ولكنه تفاجأ بمنظرها، ولم يعجبه منظرها؛ لأنه لم يره في النظرة الشرعية رؤية كافية، وظل مبتعدا عنها ومشمئزا منها. ومرت أيام وشهور وهم على هذا الحال.

قالت مريم لإبراهيم بكل حزن:

-لم أضايقك أو أؤذك في حياتي.. وما ذنبي أن الله خلقني بهذه الصورة؟ «عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم».

-لا تفسري الأمور كما تحبين، إن كان كذلك فسأطلقك ثم قولي «الخير فيما اختاره الله».

- هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ سامحك الله.. صدق من قال: «آخر المعروف يُضرب بالكفوف».[2]

(1) اللّي: الذي.
(2) مثل دارج في فلسطين. يضرب لمن يجازي الإحسان بالإساءة.

-«اللّي تخافي منو، ما يجيش أحسن منو»[1].. فأين أنتِ من إحسان الظن بالله؟

فطلقها ثم تزوج بأخرى جميلة جدا، ولكن تفاجأ أنه يصدق عليها قول: «المظهر مظهر غزال، واللسان لسان ثعبان».

-لا أعلم كيف تزوجتك يا زوجتي! أين كنت يا «لا»، عندما أتيت لأقول «نعم».

-ولا أعلم كيف رضيت بك! فينطبق عليك المثل «يا ماخد القرد على مالو، يروح المال ويبقى القرد على حالو».[2]

-صرت قردا الآن؟! صدق من قال: «سبحانك يا رب لما تشوفها تقول عنها دهب، ولما تعاشرها تطلع أبو لهب»![3]

طلقها ثم ذهب إلى عجوز حكيم واشتكى إليه حاله، فقال له: رجّع طليقتك الأولى، فكما يقولون: «اللّي تعرفه أحسن من اللّي ما تعرفه».[4]

ثم رجعها بعد ذلك فقالت له مداعبة: «ما تعرف خيري لين تجرب غيري».[5]

(1) مثل مصري. منو: منه. يجيش: يأتي. والمثل يضرب لإحسان الظن بالله.
(2) مثل شامي. ماخد: ماخذ. مالو: ماله. حالو: حاله.
(3) مثل شامي. دهب: ذهب.
(4) اللّي: الذي.
(5) لين: إلى أن.

العبرة من القصة: جمال الروح يغطي جمال المنظر، وأما جمال المنظر مع أخلاق سيئة فقد تشوه كل شيء جميل، حتى المنظر الجميل سيبدو لك قبيحا. ومن المستحسن أن يتخذ المرء قرارته بتأنٍّ وبتفكير كافٍ حتى لا يُصدم فيما بعد، وأما العجلة في الأمور المهمة والحساسة قد تؤدي إلا ما لا يحمد عقباه. وكما قالوا: «في التأني السلامة وفي العجلة الندامة».

بين معلم وتلاميذ

أخطأ المعلم يوما في قاعة التدريس، وبدأ الطلاب بالتصحيح له.

ضحك أحد الطلاب وقال بصوت خافت: مدرسنا «يضرب أخماس بأسداس».[1]

رد عليه أحد زملائه قائلا: معلمنا من خيرة المعلمين، لا سيما إنه يعلّم شرع الله وما يتعلق به، وكما قالوا في الأمثال: «لولا المربي ما عرفت ربي».[2]

قال طالب آخر: كلنا نخطئ ونصيب، وهذا أمر طبيعي. ألم تسمعوا إلى قول الشاعر:

من ذا الذي ما ساء قط

ومن له الحسنى فقط

قال طالب ثالث: صحيح.. ولكنه أستاذ متمكن من المادة.. الخطأ الذي يخرج منه ليس كالخطأ الذي يخرج من غيره.. فهو في حقه أشنع وأقبح.

---

(1) هذا المثل يقال عندما يخطئ المرء ويربط شيئا بشيء ليس له علاقة به.

(2) ولعل في ذلك إشارة إلى قوله تعالى في سورة آل عمران، آية 164: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. فالعلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

وهذه هي طبيعة الناس، فهم يفتون في كل صغيرة وكبيرة دون تفكير أو رجوع إلى أهل الاختصاص.

سمع المعلم ما دار بين الطلبة وتغافل عنهم وتظاهر أنه لم يسمع شيئا. وكما قالوا في الأمثال: «إن سبك النذل اسكت عنه وارتحل».

ولكنه أحب أن يعطي جميع الطلبة درسا محترما بطريقة مهذبة، فلم يستعجل الرد وأمهل الموضوع إلى يوم غدٍ.

وفي اليوم الذي يليه بدأ المعلم محاضرته بسؤال:

أعزائي الطلبة.. هل يعقل أن يجتمع أكثر من عشرين شخصا على الخطأ؟

قال الطلبة: طبعا لا.

قال المعلم: عندي لكم سؤال.. وأتمنى الإجابة عليه. أيهما فيه بركة أكثر: أن تأكل لوحدك أم مع غيرك؟ قليل أغناك أم كثير أطغاك؟ ما رأيكم؟

قال الجميع بدون استثناء وبكل ثقة: لوحدك بلا شك!

قال المعلم: «كل مشروك مبروك»، والبركة ما كثرت عليه الأيادي.

وقد قال نبينا ﷺ: **(طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة)**.[1] مع أن العملية الحسابية واضحة جدا، وتفكيركم تفكير منطقي، ولكن هكذا هم بعض البشر لا ينتبهون لمثل هذه الأمور.

قال أحد الطلبة: سبحان الله.. معلومة جديدة.

قال المعلم: وقد استفدنا فائدة أخرى أيضا. ما هي؟

قال طالب آخر: أن الكثرة أحيانا ليس لها اعتبار إن خالفت الحق والصواب.

قال المعلم: أحسنت.

العبرة من القصة: أحيانا قد يرى المرء الشيء من أوضح الواضحات وهو ليس كذلك.. فالمرء في وقت من الأوقات قد يكون مضغوطا جدا، كوقت الشدة والبلاء وغيره، ولا يستطيع التركيز أو اتخاذ موقف سريع وصحيح، بل ولا ينبغي اتخاذ أي قرار في ذلك الوقت. وكذلك ليس من العدل سرعة اللوم عند الخطأ، فالخطأ مغمور في بحر حسنات المرء، كما قال الشاعر:

ومن ذا الذي تُرضي سجاياه كلها

كفى المرء نبلًا أن تُعدّ معايبه

(1) رواه البخاري (5077) ومسلم (2058).

عامل الناس بما تحب أن يعاملوك!

ذهب عبد الكريم مع صاحبه سعود إلى السوق للتسوق والمشي وقضاء بعض الوقت معا.

قال عبد الكريم لسعود:

-أنا فرح جدا للخروج معك الليلة، فلم ألتق بك منذ زمن بعيد جدا.

-إي والله، وأنا أسعد بلقائك.

-عشاؤك علي الليلة.

- أنت سابق بالخير دائما.. ليتني أكون مثلك.. ولكن أقول: أنت كريم ونحن نستاهل إن شاء الله.

- الخير خير الله، وكلنا إخوة نعين بعضنا بعضًا يا أخي الحبيب.

وبينما عبدالكريم وسعود يتنقلان بين المحلات، قال سعود لعبدالكريم: -أستأذنك دقائق سأدخل هذا المحل الذي يبيع الهواتف المحمولة لأسأل عن شيء وآتيك.. لا تدخل معي.. انتظرني دقائق.

- لا مانع، كما تحب.

دخل سعود إلى المحل ليسأل البائع عن هاتف ما، وجاء البائع بالهاتف الذي طلبه وأعطاه إياه ليراه.. ثم أتت امرأة تسأل عن أمر ما، وبينما انشغل البائع معها أخرج سعود هاتفا من جيبه ووضعه مكان الهاتف الجديد وأغلق العلبة.

رآه عبدالكريم صدفة فانتبه إليه، دخل المحل مسرعا وحاول أن يصلح ما حصل، وبينما أراد أن يتكلم مع سعود، إذ بالبائع انتبه لدخول عبدالكريم المحل.

استدرك عبدالكريم الموقف مسرعا وقال: كأنك يا سعود وضعت هاتفك بالخطأ بدلا من الهاتف الذي كان بالعلبة؟

تغير وجه سعود، وقال مندهشا: دعني أرى.. آه.. نعم.. آسف يا أستاذ.. جلّ من لا يسهو.

قال البائع: حصل خير إن شاء الله.

قال عبدالكريم: كم سعره؟

قال البائع: مائتا دينار.

فأخرج عبدالكريم المال من جيبه وقال: هذه هدية لصديقي سعود.. بمناسبة اللقاء بعد فترة طويلة.

ابتسم سعود وشكر عبدالكريم على الهدية.. ثم خرجا من المحل بكل فرح وسرور وهما يودعان البائع.

قال سعود لعبدالكريم:

-أحرجتني يا أخي عبدالكريم.. أرجوك استر على ما واجهت.

- ما واجهت إلا الخير.

- والله لا أعرف كيف سوّلت لي نفسي..

قاطعه عبدالكريم:

-لا تكمل، لا داعي للكلام. «إبليس لم يمت»، واعتبرني لم أسمع أو أرَ شيئًا، واعتبر الذي «فات قد مات»، ولنبدأ صفحة جديدة.

-جزاك الله خيرًا يا صديقي.

- وإياك.

ذهبا ليأكلا في أحد المطاعم، وقد دفع عبدالكريم الحساب كما وعده، ثم انصرفا وأوصل عبدالكريم سعودَ منزله، وعاد إلى منزله.

وبعد مرور يومين، ذهب سعودُ إلى السوق ووجد صاحبه عبدالكريم صدفة، وكان عبد الكريم يسب شخصًا دون معرفة سعود للأسباب وتفاصيل الحادثة!

فقال له سعود تلقائيا: يا صاحب اللسان البذيء! «ما يبقاش تاريخك كله فضايح وتجيني وتدّيني نصايح»![1] بالأمس كنت تنصح وتعمل نفسك بريئا، والآن تسب الناس؟ أم كل يوم لك أخلاق مختلفة؟ صدق من قال: «إذا صاحب المصلين صلى، وإذا صاحب المغنين غنّى»!

احمرّ وجه عبدالكريم مصدوما من الموقف.. بينما كان سعود مبتسمًا كالليث وكأنه في حال انتقام.

قال عبد الكريم: لو صبرت وسألت لجاءك الجواب، و«من تأنّى نال ما تمنّى».

أما الذي سببته، فقد سبّني وقد سببته من دون زيادة أو نقصان، وقد قالوا: «لا تسب أمي الكريمة فأسب أمك اللئيمة».

ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾.[2]

وأما أنت، فكنت أتمنى أنك عاملتني كما عاملتك في المرة الأولى مع أني لم أخطئ، وقد عذرتك وأنت مخطئ، و«الذي لا يعذر الناس ليس من الناس».

(1) مثل مصري. يبقاش: يبقى. تجيني: تأتيني. تدّيني: تعطيني.
(2) سورة النحل، آية 126.

العبرة من القصة: لماذا نحب أن يعاملنا الناس بما نحب، ولا نعاملهم بما نحب أن يعاملونا به؟ ولماذا نحب أن نرد النصيحة الصادقة بمعايرة مغلّفة بغلاف نصيحة؟

بين تاجرين

فتح عبد العزيز محل أقمشة قريبًا من محل وليد الذي يبيع فيه الأقمشة، فمر عليه وليد وقال له:

-«يا واكل قوتي، يا ناوي على موتي»![1]

- يا أخا الإسلام.. «السلام قبل الكلام».

- لا سلام ولا كلام... صدق من قال: «الجمّال لا يحسد إلا الجمّال».[2]

- يا أخي.. لا تغضب لأني فتحت محلًا قريبًا منك.. فهذا المكان الوحيد الذي وجدته.. والجود من الموجود.. ويا رازق الثعابين في جحورها، ارزقني وارزق أخي وليد.

وبعد مرور شهور، والتاجران عبد العزيز ووليد رابحان في السوق ولم يخسرا، وقد وفّق الله كل واحد منهما. ولكن الشيطان وسوس في رأس وليد وفكر في حيلة ليتخلص من جاره عبد العزيز.. فاتفق مع مجموعة من العصابة ليكسروا محل عبد العزيز في الليل ويحرقوه. واتفقوا على وضع قطعة قماش علامة على المحل المطلوب كسره وإحراقه، واتفقوا أن يكون الوقت بعد إغلاق المحلات في منتصف الليل..

(1) مثل مصري. واكل: آكل.

(2) والمقصود من المثل «الجمّال ما يحسد إلا الجمّال» أن الحسد غالبا يكون بين أصحاب الصنعة الواحدة.

وفي الوقت الموعود، أغلق التجار محلاتهم في الليل كالعادة، وبعدها بساعة رجع عبد العزيز إلى محله لنسيانه بعض الحاجات، ووجد قطعة قماش عند محله، فقال:

هذه ليست لي، ولعل الجار نسيها هنا.. سأضعها عند محل الجار.. ف«الجار جار ولو جار».

مرت العصابة بعد منتصف الليل وكسروا محل وليد الذي أراد أن يمكر بصاحبه.. وكما قالوا: «من حفر حفرة لأخيه وقع فيها»!

وفي اليوم التالي وعند فتح التجار محلاتهم لاحظوا ما حصل..

فقال عبد العزيز لوليد:

-الحمد لله على كل حال يا أخي.. وسنساعدك بما نقدر عليه في إرجاع ثروتك كما كانت.. ولكن أمرك عجيب.. فكما يقولون: «طبختك على النار، وعينك على طبخة الجار».[1]

- أستغفر الله وأتوب إليه.. فالراجع عن الذنب كمن لا ذنب له.. وصدق من قال: (من طمع طبع).[2]

العبرة من القصة: تمني الخير لغيرك لن ينقص من رزقك شيئا، ف«لو تجري جري الوحوش غير رزقك ما تحوش».

(1) معنى المثل: عنده رزقه ولكن عينه على رزق غيره.
(2) الطبع: الغرق. فكأن من يطمع يغرق.

إلغاء متعة سببت أوقاتا أمتع

قررت المدرسة أن تخرج بطلابها في المرحلة المتوسطة في رحلة إلى حديقة الحيوانات.

قال المعلم: سأعرّفكم في الرحلة على أبي صابر؟

قال الطالب خالد ببراءة: ومن أبو صابر؟ أضيف هو؟

ضحك المعلم:

-لا، أبو صابر كنية الحمار. وبعضهم يكنيه ب»أبي أيوب» نسبة إلى نبي الله أيوب عليه السلام، وهذا خطأ وفيه سوء أدب مع أنبياء الله عليهم السلام.

-جزاك الله خيرا يا أستاذي على هذه الفائدة القيمة، فلم أكن أعرفها من قبل.

-وإياك جزى الله. وما دام المرء حيًّا فسيتعلم أشياء في جوانب متعددة يوما بعد يوم، ولهذا قالوا: (اللّي أكبر منك بيوم أعلم منك بسنة).[1]

(1) اللّي: الذي.

قال تلميذ آخر يُدعى يوسف: يا سلام.. سنذهب إلى حديقة الحيوانات ونرى الوز، ومن ثَم نرى على أرض الواقع ما يقولونه: (ابن الوز عوام).[1]

قال الأستاذ: ما شاء الله يا يوسف، تعبيرك جميل للغاية، وماذا بعد في مخيلتك؟

قال يوسف: ونرى الأسد يزأر فإذا جاءت لبوته سكت وجلس في صمت رهيب، وفي هذا قال الشاعر: «أسدٌ عليَّ وفي الحروب نعامة». وسنرى..

قاطعه خالد قائلا: هل تجهز «الدوا قبل الفلعة»؟[2] ومن يضمن أنه سيعيش في الغد؟ ربما أصابني مرض ولم أستطع الحضور.

قال يوسف: صحيح. وربما حصل لنا حادث وأعاقنا عن الحضور، ولكني أتخيل ولا يضر ذلك، ونبذل الأسباب ونتفاءل بالخير. كما قالوا: «تفاءلوا بالخير تجدوه».

قال الأستاذ: انتبهوا يا أبنائي، «القدر موكل بالمنطق»، فلينتبه أحدكم ما يقول وليتفاءل خيرا، واعلموا أن مهما تبذل من أسباب ف«اللّي كاتبه الله بيصير»،[3] و«لا ينفع حذر من قدر».

(1) مثل مصري. عوام: يجيد السباحة.
(2) الدوا: الدواء. الفلعة: الضربة.
(3) اللّي: الذي. بيصير: سيحصل.

وفي اليوم الموعود لم يستطع خالد الحضور لمرض أصابه.

اتصل معلمه على أبي خالد واستفسر عن حال خالد:

-السلام عليكم يا أبا خالد. كيف الحال وكيف حال خالد؟ ما المانع من عدم حضوره الرحلة معنا؟

-وعليكم السلام معلمنا الكريم. أحمد الله إليك. خالد أصابه ألم شديد في ضرسه ولا يستطيع الحضور، وفي الوقت نفسه رافض أن يذهب إلى الطبيب.

-ولِمَ يرفض؟

- يخاف خوفا شديدا من الأطباء والأدوات الطبية.

- أعطني خالدا أكلمه لعلي أستطيع إقناعه.

أخذ خالد الهاتف وهو متألم جدا من ضرسه:

-السلام عليكم يا أستاذ... آآه..

- وعليكم السلام يا خالد.. لا بأس، طهور إن شاء الله.. تمنينا لو كنت معنا ولكن «نحن نريد وأنت تريد، والله يفعل ما يريد». لكن ما يهمني الآن، لِمَ ترفض الذهاب إلى الطبيب؟ أتريد أن يسترسل معك الألم فيسبب لك مضاعفات شديدة؟

- لا يا أستاذ، ولكن..

– اسمعني يا خالد، كلنا مررنا بهذه التجربة، وألم الضرس مؤذٍ جدا، حتى أنهم قالوا: «لا وجع إلا وجع الضرس، ولا همّ إلا همّ العرس».

– آآه.. نعم.. حتى سمعت والدي يقول: «وجع الفلس ولا وجع الضرس».

– بالضبط، وأن تتألم لمدة عشر ثوان خير من أن تتألم الدهر كله، فقد قالوا: «عذاب ساعة ولا كل ساعة».

– صدقت يا أستاذ، كلمتك أثرت بي، وسأذهب بإذن الله.

– سأعطي الهاتف إلى أعز أصحابك يوسف لتكلمه، ولكن لا تظهر الضعف وكن قويًا.

أخذ يوسف الهاتف:

–لا بأس طهور إن شاء الله يا خالد.. الحمد لله على كل حال يا خالد..و«اللّي ما ييسره الله عسر»..[1] وإن شاء الله تكون معنا في الرحلات القادمة.

– الحمد لله على كل حال.. أنا من جلبت هذا الشيء لنفسي حينما قلت: ربما أصابني مرض ومنعني من الحضور.. حقا «إن البلاء موكل بالمنطق».

(1) اللّي: الذي.

- هذا نصيبك، و«نصيبك سيصيبك» مهما بذلت من أسباب وحذرت، و«إذا جاء القدر عمي البصر».

- أتمنى لكم رحلة موفقة، وبلّغ سلامي لجميع الزملاء الكرام بدون استثناء.

- وعليك السلام، يوصل بإذن الله.

أغلق يوسف الهاتف، وذهب مع زملائه إلى الرحلة.

وخالد على الفراش يفكر في نفسه:

-ذهبت عني الأوقات الجميلة.. يبدو ستكون نزهة موفقة.. فاتتني.. فإني بحاجة إليها.. فالضحك للإنسان مثل السماد للبستان».

وفي أقل من ساعة سمع خالد بخبر مؤلم وهو انقلاب الباص، وقد توفي نصف من في الباص بينهم المعلم وصديقه يوسف، والبقية مصابون.

العبرة من القصة: اختيار الله لك خير من اختيارك لنفسك. فلو ذهب خالد معهم لربما مات.. والذين ماتوا ربما لو عاشوا لافتتنوا في دينهم ودنياهم، فكان الموت خيرا لهم من الحياة، مثلما قتل الخضرُ الغلام كما في القصة المعروفة في سورة الكهف، وهكذا ينبغي أن نحسن الظن بالله. ويروى عن عمر بن الخطاب: (لو عُرضت علي أقدار الله لاخترت ما اختاره الله لي). فلا تحزن على ما فاتك، وأحسن الظن بالله دائما وأبدا.

حـــــوار بين اجتماعي وانطوائي

العزلة –عادة– يراها أكثر الناس بأنها عادة كريهة ومبغوضة، ولا يمكن قبولها في المجتمع.

بينما يراها آخرون بأنها عادة قد تكون لها دلالة على الذكاء أو نحو ذلك، وإن كانت مخالفة لأصل البشرية الذين جُبلوا على التواصل، فالإنسان اجتماعي في طبعه وطبيعته ويحب أن يخالط الناس.

وفي يوم ما، عاتب الاجتماعي صاحبه الانطوائي:

–يا أخي لماذا لا تعاشر الناس؟ ألم تسمع إلى المثل: «الجنة من دون الناس ما تنداس».[1]

– صدقت، ولكن «عِشرة الناس تتعب الرأس».

– «أصابع اليد ليست متساوية».. فإن لم يعجبك شخص ما وصار لك موقف معه، فلا يعني أن كل الناس ليسوا طيبين، وأخشى أن «نعيب زماننا والعيب فينا»![2]

(1) ما تنداس: لا تُوطَأ. والمثل يضرب لمخالطة الناس، ولو كان المرء في أفضل وأروع الأماكن ولكنه لوحده فإنه بحاجة إلى الناس، فالإنسان اجتماعي في طبعه.

(2) وهو مقتبس من شعر الشافعي –رحمه الله– حينما قال:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيبٌ سوانا

– غفر الله لك يا صاحبي، وهل قلتُ ما ظننتَه؟ «الناس أجناس» بلا شك، فيهم الصالح وفيهم الطالح، ولكن «عشنا وشفنا وما بقي شي يدهشنا».[1]

عاتب الناس الاجتماعي لأنه لم يستطع إقناع صاحبه الانطوائي أن يحتك بهم.. وقالوا له: لا تكلمه ولا تماشه، فإنه لا يحترمنا ولا يقدّر أحدًا! وإن لم تفعل ما نأمرك فلا تكلمنا واقطع علاقتك بنا!

حار الاجتماعي فلم يبادر بالكلام وتلعثم، وأحب أن يرضي الطرفين، فقال بعد تفكير سريع:

–يا إخواني، هذه طريقة حياته، وكل شخص له شخصيته الخاصة، أليس كذلك؟

– بلى، ولكن..

قاطعهم الاجتماعي بسرعة:

–وكل واحد فيكم سلطان، وهو أيضا سلطان، والسلطان من بَعُد عن السلطان![2] فلا تتعرفوا عليه ولا تحتكّوا به، وهو كذلك لا ينبغي أن يجلس معكم! ما رأيكم يا سادة يا كرام؟

– ولكن ألا يدل ذلك على احتقارنا؟

(1) مثل شامي. شفنا: رأينا.
(2) وهو مثل دارج في بعض الدول العربية مثل مصر وسوريا، وفي الكويت بلفظ: الشيخ اللّي ما يعرف الشيوخ. والشيخ في اللهجة الكويتية تعني «الأمير».

– هو حر في الكلام مع من يشاء، وأنتم كذلك، وإلا لماذا لا تتواصلون مع جميع الناس؟ ولماذا تختارون أناسا معينين للكلام والخروج معهم؟ أليس ذلك احتقارا للبقية الذين أنفتم عن معاشرتهم؟

سكت الجميع ولم ينطقوا بحرف واحد، وتجاهلوا ما حصل وكأن لم يحصل شيء على الإطلاق.

وفي يوم ما، قرر أصحاب الاجتماعي أن يسافروا بالسيارة، ودعوا صاحبهم الاجتماعي فاعتذر لظروفه الخاصة، فعاتبوه:

–أصبحت مثل صاحبك الانطوائي؟ لا تريدنا بعد اليوم؟

– غفر الله لكم، ليس الأمر كما تظنون، بل عندي ظروفي الخاصة، أم ينبغي أن أقول لكم كل تفاصيل حياتي؟

– نتمنى أن يكون عندك ظروف حقا ولا تتخذ أي سبيل للهروب منا وعدم مخالطتنا.

انصرفوا عنه بعد ذلك وذهبوا في مشوارهم بالسفر برا.

وفي طريق سفرهم وعند حدود بلدهم وقعوا في ورطة فقد تعطلت سيارتهم، وكان الوقت متأخرا من الليل ولا يوجد أحد، ولحسن الحظ مرت بهم سيارة صدفة، فأشاروا إليه بالتوقف.

وقف صاحب السيارة وقال لهم:

-خير إن شاء الله؟

- ينقصنا البترول، ومن إهمالنا أننا خرجنا من البلد دون تعبئة السيارة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- خير إن شاء الله.. ولحسن حظكم أحمل معي كمية من البترول لأني مسافر برًّا وأحتاج استخدامه حتى لا أنقطع مثلكم.

- الحمد لله! جزاك الله خيرا.. ولكن لماذا لا تفك اللثام عن وجهك؟

- عندي مرض ولا أريد أن أعديكم.

- شفاك الله وعافاك.

أعطاهم ما يحتاجون من بترول وشكروه على حسن صنيعه ثم انصرف كل في طريقه.

وبعد مرور أيام حان وقت رجوعهم إلى بلدهم بعد قضاء إجازة ماتعة. وعندما رجعوا إلى البلد حكوا قصتهم إلى صاحبهم الاجتماعي، وعرف الاجتماعي أن الانطوائي وراء مساعدة أصحابه عندما وصفوا له سيارته.

ولما سأل الاجتماعي صديقه الانطوائي إن كان هو الذي ساعدهم، رد بالإيجاب.

فأبلغ أصحابه قائلا:

-هذا الذي طعنتم به هو الذي ساعدكم! نحن نحب من يثرثر دون أن يفعل ما يقول، ونسينا أن من «كثر هذره قل قدره».[1]

-صدقت والله، فالرجال تعرفهم بالمواقف لا بالثرثرة والوعود والصراخ. وكما يقولون: «الأصحاب في كل حتة، والكويسين خمسة ستة».[2]

العبرة من القصة: لا تحكم على أي شخص قبل أن تجربه، ومن يساعدك خير ممن يكف شره فحسب، ومن يكف شره خير ممن يؤذي ولا ينفع، فلا تحسن الظن بالسيء وتسيء الظن بالطيب.

(1) مثل دارج في الكويت. والهذر كلمة فصيحة. قال ابن منظور في لسان العرب، مادة (هذر): الكلام لذي لا يعبأ به.

(2) مثل مصري. حتة: مكان. الكويسين: جمع كويس ويقصدون به الطيب.

بين صالح وصاحب مصالح

كثيرا ما خيّب فيصل ظن صاحبه الطيب حسن، وكثيرا ما كشف الله حقيقته أمامه، ولكن أبى حسن إلا أن يعطيه فرصا ليتغير فتدوم المحبة بينهما.

زار حسنٌ بيت فيصل في يوم ما، فرحّب به فيصل ترحيبًا ما بعده ترحيب، وقال:

-حياك الله وبياك يا صاحبي العزيز حسن، ما رأيك أن نذهب إلى السوق؟ اخترتك أنت بالذات لأن ينطبق عليك الوصف «خالط السعيد تسعد»، وأيضا «الحي يحييك والميت يزيدك غبن».[1] ووالله أكنّ لك في قلبي محبة واحتراما ما يعلم بها إلا الله.

- جزاك الله خيرا على حسن ظنك، و«القلوب شواهد». لنذهب الآن، ف«خير البر عاجله».

ذهبا إلى السوق بسيارة فيصل، وفي منتصف الطريق تعب حسن تعبا شديدا وصار بطنه يؤلمه بشدة، وأبى فيصل أخذه إلى المستشفى حتى ينتهي من شرائه لكافة متطلباته قائلا:

(1) الغبن: الضعف أو النقص.

-أتريدني أن أكون مثل «عين عذاري أسقي البعيد وأترك نفسي؟!».[1] أم إني «أشيل أمك وأحذف أمي»؟[2]

سكت حسن وأسرّ في نفسه:

-«الحديد يذوب وصاحبي لا يتوب»! و«المؤمن لا يُلدغ مرتين»،[3] فكيف ألف مرة!

وحينما وصلا إلى السوق، نزلا من السيارة، وقال حسن لفيصل بانزعاج:

-أنا ذاهب لأبحث عن سيارة أجرة حتى يتسنى لي الذهاب إلى المستشفى.. تريد شيئا يا صاحبي؟

-انتظر قليلا وسأوصلك إلى المستشفى بنفسي.. كلها ساعة أو ساعتين وأنتهي من التسوق.

- شكرا لك يا صديقي.. لا داعي.. اهتم بشؤونك الخاصة، وأنا سأهتم بشؤوني الخاصة.

- أراك على خير.

(1) عين عذاري تقع في مملكة البحرين. يقال أن مياه «عين عذاري» تصل إلى أماكن بعيدة فتسقي النخيل، بينما مياهها يتعذر وصولها إلى النخيل القريبة، والله أعلم.
(2) أشيل: أحمل. أحذف أمي: كناية عن التخلص منها وألا تؤخذ بعين الاعتبار.
(3) وهو مقتبس من قول النبي ﷺ: (**لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين**). والحديث رواه البخاري (5782) ومسلم (2998).

- إن شاء الله.

انصرف حسن وأخذ سيارة أجرة ليذهب إلى المستشفى، واستغله صاحب السيارة فرفع عليه السعر، ورضي حسن، فمن كان في موقفه لا بد أن يتنازل، وكما قالوا: «المحتاج أهبل».[1]

وصل حسن إلى المستشفى ودخل إلى الطبيب وأجرى له منظار معدة، وتبين مع الفحص أنه يعاني من جرثومة المعدة، فوصف له الدواء، وعلى الله الشفاء.

استقل حسن سيارة أجرة مرة أخرى ليذهب إلى البيت، وفي منتصف الطريق اتصل عليه فيصل بكل وقاحة ليطمئن عليه -كما يزعم-، وقال:

-بشرّني عنك يا حسن؟ يا رب تكون بخير؟ أتحب أن آتي لمساعدتك الآن؟

- ما شاء الله.. مرت بالضبط ثلاث ساعات منذ تركتك.. جزاك الله خيرا.. علمتني درسا تلو الدرس، ولكن أبيت أن أفهم، حتى اتهمني الناس بأني بليد كالحمار! ولكني تيقنت الآن أن «لما تنتهي المصالح، الحلو يصير مالح»!

(1) أهبل: فاقد العقل.

رد فيصل بكل وقاحة:

-يا عزيزي، هذه هي الدنيا. أخرج معك للضحك فحسب.. ووقت الجد أكون مع أناس آخرين. وكما يقولون: «أنا مع خوالي إذا جر الصحن، ومع عمّاني إذا جر الطعن».[1] أليست الدنيا تمشي بهذه الطريقة؟

- صدقت.. وصدق من قال من الصعب أن تحصل على صاحب يعينك في أمور دينك ودنياك في هذا الزمن، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

العبرة من القصة: ينبغي الابتعاد عن هذا الصنف من الناس الذي يقدم كمالياته على احتياجاتك ولا يراعي شعورك ومتطلباتك.. ومن حسن الأخلاق إعطاء فرصة أخرى وعدم العجلة، ولكن في أغلب الأحيان: «المكتوب مبين من عنوانه». ولن تميز الصديق الحقيقي عن غيره إلا وقت الضيق، كما قالوا: «الصديق وقت الضيق».

(1) خوالي جمع خال، وهو أخو الأم.
إذا جرّ الصحن: وقت الأكل والكلام والضحك.
عمّاني: جمع عمّ، والعمّ أخو الأب. وفي لهجة أخرى يقال: عمام.
إذا جر الطعن: وقت الحرب والشدة.
ومثل آخر قريب منه: «اللقمة من الخوال والعصا مع العمام».

خذ ما تحتاج دون زيادة أو نقصان!

من الصعب جدا أن يتصاحب الضدان في الخُلُق، وإن كان قد يحصل أحيانًا، بينما الأصل كما قالوا: «الطيور على أشكالها تقع».

كان هناك ثلاثة أصدقاء، يُدعون: فواز، وعمرو، وسعيد.

دعا فواز صاحبيه إلى وليمة، وكان عمرو جريئا جدا، بينما سعيد بعكسه تماما، فهو خجول جدا. وأما فواز فهو بينهما، ف«لا إفراط ولا تفريط»، وهذا نمط الحياة الصحيحة.

وقبل حضور الطعام بفترة وجيزة، قال عمرو: أين الطعام؟ أشعر أن معدتي بدأت تصغر، وينبغي إعادتها كما كانت، ف«الرجل بلا كرش كالملك بلا عرش».[1]

قال فواز: «التأنّي من الرحمن والعجلة من الشيطان».

قال سعيد: يا عمرو، لا تكن ممن يأكل كثيرا فيشرب كثيرا فينام كثيرا.

قال عمرو: يا سعيد، أنا في المشرق وأنت في المغرب.. يا أخي «الجعان يحلم بسوق العيش»..[2] وماذا يعني لو أكلنا كثيرا فشربنا

(1) الكرش: البطن الضخم.
(2) مثل مصري. جعان: جائع.

كثيرا فنمنا كثيرا؟ «نوم الظالم عبادة» يا أخي! أنام وأرتاح أفضل من أن أؤذي غيري يا صديقي..

لم ينتهِ عمرو من هذه الكلمة إلا وقد حضر الطعام، وبدأ عمرو يأكل بشراهة.

قال سعيد: «ارحم ترحم».

قال عمرو: لا تلمني، ف«عند الصحون تتيه العقول».

قال فواز: هنيئا مريئا.. «مطرح ما يسري يمري».[1]

سرعان ما انتهى سعيد من الأكل، وقال: أنعم الله عليك يا أخي فواز على هذه الوليمة الطيبة.

قال فواز: كُل! أتأكل أكل الطيور؟!

قال سعيد: أكرمك الله.. قد اكتفيت.. وكما يقولون: «اللقمة الهنيّة تكفي المية».[2]

قال عمرو مداعبا: كُل يا أخي! «أبو بلاش كثّر منه»..[3] لن يأخذ فواز منك فلسا. أليس كذلك يا فواز؟

(1) مثل شامي. ومعناه: محل ما يسري الأكل يمر بسهولة.
(2) مثل مصري. المية: المائة.
(3) أبو بلاش: كناية عن الشيء المجاني.

قال فواز ضاحكا: الله أعلم.. الأكل مجاني، ولكن الخروج من المنزل بأضعاف الوليمة! «دخول الحمّام مش زي خروجه»![1]

ضحك الجميع على تبادلهم الدعابة اللطيفة.. ثم قال فواز لسعيد:

ما لك يا سعيد.. لماذا لم تأكل شيئا؟ أم أنك معتاد على هذه الكمية من الطعام؟

قال سعيد: صدقت.. تعودت على هذا الشيء.. وكما يقولون: «ينشأ ناشيء الفتيان منا على ما قد عوده أبوه». وعلمني والدي الاقتصاد وعدم الزيادة، وكان يقول لي: «آكل الفول وأخرج قفايا عرض وطول، ولا أكل الكباب ووقفة الديّانة ورا الباب».[2]

سكت فواز وعمرو لهذه الحكمة الصحيحة التي وُضعت في غير موضعها.. ثم انتهى فواز بعد سعيد بدقائق وقال لعمرو:

اكتفيت ولله الحمد.. خذ راحتك في الأكل ولا تقم من الوليمة بحجة أني انتهيت. خذ راحتك كأنك جالس في بيتك.. ف«الضيف ضيف ولو أَعَد الشتا والصيف».[3]

قال عمرو: طبعا.. لن أستحي منك يا أخي.. اللّي اختشوا ماتوا![4]

(1) مثل مصري. الحمّام: مكان يُقضى فيه الحاجة. مش: ليس. زي: مثل.
(2) مثل مصري. قفايا: مؤخرة العنق. الديّانة: الذين يطالبوني المال. ورا: وراء.
(3) مثل شامي. أعد: قعد. الشتا: الشتاء.
(4) مثل مصري. اللّي: الذي. اختشوا: استحيوا.

انتهى عمرو بعد ذلك بفترة طويلة نوعا ما، فلم يترك لحما ولا عظما إلا وامتصه.. فالجميع انتهى من الأكل، ولكن عمرا أكل فوق طاقته، وسعيد الخجول أكل أقل مما يحتاج، وفواز صاحب الوليمة أكل وفق ما يحتاج.

تناولوا بعد ذلك الشاي والقهوة، وفي محور حديثهم سألهما فواز عن رأيهما بالأكل.

فقال سعيد متحسرا على ما فوّته: فوق الرائع.. وصدق من قال: «اللّي ما عنده كرش ما يسوى قرش».[1]

قال فواز: هذه دلالة أنك لم تشبع! قلنا لك كُل ولكنك رفضت.. لماذا لم تأكل؟

قال عمرو: لا والله.. خيرا فعلت يا سعيد.. فلو أكلت المزيد لما كنت سعيدا.. صدق من قال: «فرح في التم عزا في البطن».[2]

قال فواز: الاقتصاد جميل يا أعزائي.. و»خير الأمور أوسطها».

فواز قد انتهى من جلسته معهما وهو مرتاح، وعمرو رجع إلى أهله متألما من بطنه، بينما سعيد رجع إلى أهله وهو يشعر بالجوع ويخجل أن يقول لأهله أعدوا لي طعامًا، فسوف يعاتبونه ويلومونه.

(1) كرش: البطن الضخم. والمثل تقال مداعبة.
(2) مثل شامي. التم: الفم. عزا: عزاء.

العبرة من القصة: إذا أخذت فوق الحاجة ستتضرر وربما تجرأت على الحرام، وإذا أخذت أقل من حاجتك فستندم لأنك لم تعطِ نفسك حقها، وأما المقتصد فيأخذ ما يحتاج ويترك ما لا يحتاج. وأيضًا الخجل في موضع الخجل ممدوح، وإن كان في غير موضعه فهو مذموم. وكذلك مع صفة الجرأة وبقية الصفات.

حب السلطة دمار شامل!

أسس جابر شركة جديدة، ولا يزال يصارع التحديات في بداية مشواره، وهذه طبيعة من يبدأ مشروعًا جديدًا.

استطاع جابر أن يوفر ما يحتاج من أساسيات، كالأثاث والأجهزة الحديثة ونحو ذلك. وساعده أحد أصحابه في استقطاب ثلة من الموظفين والباحثين المميزين.

وفي اليوم المحدد افتتح جابر شركته الجديدة، وبارك له الأهل والأحباب والأصدقاء والموظفون ودعوا له بالخير وسألوا الله أن تكون شركته باب خير للبلاد والعباد.

وفي اليوم الأول من العمل، ذهب كل موظف إلى مكتبه ليباشر العمل ويعرف كل واحد منهم طبيعة عمله وما له وما عليه من واجبات وحقوق. وكانت في الشركة إدارات مختلفة وكل إدارة فيها أقسام مختلفة، كل حسب مجاله وتخصصه.

وفي إدارة الشؤون القانونية، اجتمع ثلة من الباحثين المتميزين. حسام كان أكبرهم سنا، ويليه حاتم ثم فهد ثم قيس. اجتمعوا في اليوم الأول ورحّب كل واحد بالآخر، وتعرفوا على ما يجب عليهم فعله وتعرفوا على حقوقهم وواجباتهم.

وبدأ حسام -أكبرهم سنا- بإعطائهم بعض النصائح والتوجيهات التي استفادها من خبراته السابقة كونه عمل في هذا المجال لفترة طويلة، ويعرف كيف يُخرج العمل على أحسن وجه كما يعرف الثغرات والأخطاء الشائعة فيها.

وظلوا على هذا الحال لمدة أسبوع، ثم في أول يوم من الأسبوع التالي، قرر جابر -مدير الشركة- أن يرشح أعضاء كل قسم ممن يرونه مناسبا، مع علمه وخلفيته التامة في السيرة الذاتية لكل واحد منهم. فاختار الجميع بسرعة دون تردد، لأنهم عرفوا بعضهم بعضا في اليوم الأول، وكما قيل: الانطباع الأول عند اللقاء الأول».

أخذ جابر جميع الترشحات ورآها ووضع علامة في جهاز الحاسب الآلي لمن انتهى من ترشحه، وظل كذلك حتى أنهى جميع الأوراق لجميع الأقسام. فتفاجأ من عدم وجود الشؤون القانونية من بينهم. فنادى سكرتيره قائلا: فاضل، لماذا تأخرت الشؤون القانونية؟

قال فاضل -السكرتير-: سأبحث في الموضوع حالا.

اتصل فاضل عليهم ووجد عندهم صراخا وعويلا.. فأراد فاضل حل الموضوع وتهدئة الوضع بأسرع وقت ودون علم المدير لئلا يكبر الموضوع فتحصل مصيبة.

ذهب فاضل إلى الشؤون القانونية ليستفسر عن الأمر، فصاح كل واحد منهم ليفهموه المشكلة، فلم يفهم شيئا وأمرهم أن يلتزموا الصمت وأن يتكلم واحد منهم فقط حتى يفهم ما دار بينهم في جلسة الترشح.

قال قيس: قررنا -أنا وفهد- أن نرشح حسام لأنه كبيرنا وأعلمنا وأكثرنا خبرة كما اكتشفنا من الحديث معه في الأسبوع الماضي، فاخترناه ليكون مسؤولا علينا جميعنا، وقلنا له: «يا مفصل يا رئيس أنت تفصل وحنا بنقيس».[1] ولكن يا أستاذ فاضل، أخونا حاتم اقترح أن..

قاطعه حاتم: حسام كبير في السن وأخشى عليه الإرهاق.. واقترحت عليهم أن نتقاسم التعب حتى نرتاح أكثر. فقد قالوا: «من تعب لعب». أليس كلامي صحيحا يا أستاذ فاضل؟

قال فاضل: وكيف تتقاسمون التعب؟ ممكن أن توضح لي من فضلك؟

قال حاتم: طبعا. فمسؤولان يتعبان ويتقاسمان العمل للحصول على نتيجة أفضل، خير من مسؤول واحد ذي عمل فردي. هل كلامي فيه شيء من الخطأ؟

(1) مثل شامي. مفصل: خيّاط. حنا: نحن. بنقيس: نلبس ما فصلته لنا. وفي الكويت: «أنت تفصل وحنا نلبس».

قال فاضل: يبدو أن اقتراحك جميل، ف«العبد في التفكير والرب في التدبير».

عارضه حسام قائلا: تفكير غير سليم.. «إذا أردت أن تخرب بلدة، فادعِ عليها بكثرة الرؤساء».

صار صراخ وعويل.. فتدخل حسام قائلا:

لنعطيه فرصة ويتكلم حتى لا نظلمه.. فقد قالوا: «بات مظلوم ولا تبات ظالم»![1]

قال حاتم: اقتراحي أن أكون مسؤولا على واحد، وأنت يا حسام تكون مسؤولا على واحد. وكما يقولون: «ربع تعاونوا ما ذلوا».[2]

قال حسام: لكن يا أخي حاتم.. هذا الفكر وهذا التقسيم في العمل لم أسمعه أو أره من قبل في أي إدارة في حياتي.. وحسب خبرتي المتواضعة يبدو أن هذه الفكرة لن تنجح. وأنا مستعد أن أتنازل عن مسؤولية القسم لك إن كان الوضع كما ذكرت.

قال فاضل: لا تتنازل يا حسام.. لنعطي حاتم الفرصة لتطبيق فكرته، لعلها تنجح، ولكن علي أن أستأذن من المدير أولًا.

(1) دارج في الكويت. يضرب للكف عن الظلم. وفي مصر بلفظ: «بات غلبان ولا تبات ندمان».

(2) مثل دارج في الكويت. ربع: أصدقاء. ما ذلوا: لا يصيبهم الذل.

قال حسام: تفضل.. ولكن قل للمدير عن موقفي.. فلا أريد أن أضيع العمل من أجل السلطة.. ولست راضيًا عن وضع مسؤوليْن في مكتب واحد!

ذهب فاضل إلى المدير ليعرض عليه ما حصل، واقترح فاضل على المدير أن يأمر بتطبيق فكرة حاتم حتى يرى الجميع فكرته على أرض الواقع.

رجع فاضل إلى مكتب الشؤون القانونية ليبشرهم بتطبيق فكرة حاتم. فقال حسام بسرعة مدهشة:

يا أخ فاضل.. هذا الكلام لا يصلح مع احترامي للمدير.. علي أن أتكلم معه.. وأنا مستعد للتنازل لأخي حاتم أن يكون مسؤول القسم، ولكن هذا التقسيم باطل!

قال فاضل: المدير يرفض استقبال أي شخص في الوقت الحالي، ولعلك تلتقي به في وقت لاحق.

انصرف فاضل وكان حاتم مبتسما، بينما كان فهد وقيس مندهشَيْن ومتوترَيْن، ويبدو على وجهيهما الاستغراب لكونهما صغارا في السن وليس عندهم الخبرة الكافية في هذه المواضيع.

قال حاتم: أنا مسؤول عن فهد، وأنت يا حسام مسؤول عن قيس.

قال حسام: طيب. وماذا بعد؟

قال حاتم: مفتاح المكتب يكون معي لأني أحضر مبكرا وأنصرف متأخرا.

قال حسام: طيب. وماذا بعد؟

قال حاتم: لا تخرج ورقة من المكتب إلا بموافقتي.

قال حسام: طيب. وماذا بعد؟

قاطعه فهد قائلًا: اتق الله في نفسك! لماذا لا تحترم كبيرنا؟! المفتاح عندك، ولا تتوقع أي معاملة إلا بموافقتك! ما هذا الهراء؟ ماذا أبقيت لحسام؟

تدخل قيس كذلك مؤيدًا لزميله فهد، فصارت ضجة مرة أخرى فتدخل في الموضوع زملاؤهم من مكاتب مجاورة وهدّؤوا من روعهم وبدؤوا بالنقاش معهم.

وبينما الجميع يتناقش ويبدي رأيه، فإذا بالمدير قد جاء إلى مكتبهم مع علمه التام بما حصل.

قال المدير: لم تمر ساعة حتى اختلفتم.. فيمن يكون عنده مفتاح المكتب! من يسيطر على المكتب؟ لن تخرج المعاملة حتى يوافق عليها فلان...

في الحقيقة، كنت عالما بهذه النتيجة، ولكن أحببت أن يحصل ما حصل على أرض الواقع لتطمئن قلوب الجميع، لا سيما أن عندنا شبابًا صغارًا لا خبرة لديهم في الحياة العملية، وكما يقولون: «نوخذاوين يطبعون السفينة».[1]

وأنت يا حاتم، ليس لك مكان بين زملائك.. فإن كانت هذه بدايتك فستتعبنا جدا في المستقبل.. أرجوك غادر الشركة، وأتمنى لك حياة موفقة.

قال حاتم متهكما: وماذا عن العقد الذي بيني وبينك؟

قال المدير: سأدفع لك كما تعهدت في العقد الذي بيني وبينك في بند رقم (2) الذي يقول: حينما يصدر قرار بفصلك فعلى صاحب الشركة دفع جميع رواتبك القادمة إلى نهاية تاريخ العقد. فلا تخف ولا تقلق، وفي الوقت نفسه لا تفرح بما سيأتيك من مال، فسمعة المرء بين أهله وناسه أهم من المال.

العبرة من القصة: لا تنازع الأمر أهله، وكن عونا لمن تولى منصبا حتى تشاركه في الأجر، واحمد الله على عدم توليتك فلربما لم تستطع أداء حق العمل وحق العاملين وبالتالي تظلم نفسك وتظلم من حولك.

(1) من الأمثال البحرية الكويتية. ونوخذاوين مثنى نوخذة وهو قبطان السفينة. يطبعون: يغرقون. وفي مصر بلفظ: «ريسين على المركب يغرق».

نقاش بين متحمس وعجوز حكيم

حصلت ضجة في بلد ما.. والسبب راجع إلى غلاء الأسعار.. وبدأ الناس بالتظاهر لإعلانهم الرفض لهذا الغلاء.. وأغلق الناس الشوارع ودب الخوف في قلوب السائحين.

مر على المتظاهرين سائح، فقال لهم: احمدوا الله على كل حال.. بلدكم جميل فلا تشوهوه.. واقتصاد البلد سينهض مرة أخرى.. فقط أعطوا مجالا لذلك..

قال عجوز قد شاب عليه الدهر: صدقت.. أنت تقول حِكما.. ف«الجود من الموجود».. وإن شاء الله الأمور تتغير إلى الأفضل، ولا بد من الصبر، ف«من صبر ظفر».. ولا تثيروا الناس على ولاة أمورهم.. أحبب حبيبك هونا عسى أن يكون عدوك في يوم ما، وأبغض بغيضك هونا عسى أن يكون حبيبك يوما ماط.

قال متحمس -وهو يسكن في حي العجوز-: أتود أن نكون شياطين؟ ألا تعلم أن «الساكت عن الحق شيطان أخرس».

هنا دار نقاش بين العجوز والحكيم، فقال العجوز بكل لطف:

-ألا تعلم أن «معظم النار من مستصغر الشرر»؟ وألم تسمع قول من قال: «لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى»؟

-هذه الأمثال والحِكم قد تنطبق في زمانكم وقد ولّى ذلك الزمن.. أما اليوم فالوضع مختلف.

- صدقني يا بني.. كنا نقول كلامك لآبائنا وتبين أننا كنا مخطئين. قد شابت لحيتي ومرّ علي أنواع مختلفة من البشر والأفهام، وكما يقولون: «أكبر منك بيوم أعلم منك بسنة».

قال المتحمس بصوت خافت:

-«شابت لحاهم والعقل لسّه ما جاهم»..[1] يا للدنيا..

سمع العجوز ما قاله، ولكنه ادعى عدم السماع، فقال له:

-نعم يا ولدي؟

- نحن في عصر الواحد والعشرين وقد دخلنا الجامعات والدراسات العليا.. الوضع تغير الآن.. ستر الله علينا وعليك.

انصرف الشاب المتحمس عن العجوز ولم يراعِ حق الشيبة في الإسلام، فلم يحترمه ولم يوقره.

وبعد مرور أيام حصلت ثورة في البلد، ولم يشارك العجوز في هذه الثورة ومنع أهله أن يشاركوا ولو بالقول، فجاء إليه الشاب المتحمس وقال له: ما بك يا هذا؟ ألا تعلم أن «الصمت زمن الثورة عورة»!

(1) لسّه: بعد. جاهم: جاءهم.

وهكذا هم شياطين الإنس لا يرتاحون حتى يوقعوا غيرهم في نفس الفخ الذي وقعوا فيه.

رد العجوز وهو متمالك لأعصابه:

-نحن معك أنه «لا يرضى بالجور إلا الثور»، ولكن ينبغي استخدام الطرق الشرعية في التعامل مع هذه الأحداث، ففيها الحكمة.

- هذا ما تحسبه أنت وأمثالك.. تصفقون للباطل! يا أخي، «إن لم تستطع قول الحق، فلا تصفّق للباطل»!

- الأمن لا يعدله شيء، وأما في الثورة «لا تبوق وخاف».[1]

انصرف المتحمس منزعجا من هذا الكلام.. وأراد أن ينال من العجوز بأن يثير أصحابه عليه.. ولكن الناس يراعون حق الكبير عليهم.

وفي منتصف الثورة، جاء المتحمس إلى العجوز:

-لا زلت على رأيك؟

- لا زلت أنت على رأيك؟ يا ولدي ضاعت أموال الناس بتسلط السارقين والمجرمين عليهم.

(1) أي: لا تسرق وخف أن يتهمك الناس بأنك سارق.

– الله أعلم بنوايا من سُرقت أموالهم.. أما «مال الحلال ما يضيع».[1]

– وكيف عرفت أنه حرام؟

– «ستعلم حين ينجلي الغبار.. أفرسٌ تحتك أم حمار».

– ذهبت عقول الناس.. تراهم سكارى وليسوا بسكارى ولكن هول الموقف جعلهم كذلك.

– «اللّي عقله براسه يعرف خلاصه».[2]

– وماذا عن اغتصاب النساء؟ لا والله.. أصون عرضي بمال لا أدنسه.. لا بارك الله بعد العرض بالمال.

بدأ يفيق المتحمس، فقال:

–هؤلاء المجرمون....

– وماذا عن قتل الناس؟ قتل الأبناء.. قتل أبناء الأبناء.. حطموا قلوب الآباء والأجداد.. الناس عرفت قيمة الأبناء الآن وعرفت قيمة الأحفاد وعرفت معنى المثل: «ما أعز من الولد إلا ولد الولد».

(1) مثل دارج في الكويت. وفي سوريا: (المال الحلال لا بانحرق ولا بانسرق). وقد علق عليه العلامة الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (666/ 12): (وهو على إطلاقه منكر، مخالف لقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة البقرة: 155].

(2) اللّي: الذي. براسه: برأسه.

- هذا خطأ...

- وماذا عن ضياع الدين؟ بدأ دين الناس يرق.. وقل عندهم الوازع الديني.. ضيعوا الصلوات.. فتغيرت الأخلاق.. يا للقحطاني حينما قال:

الدين رأس المال فاستمسك به

فضياعه من أعظم الخسران

- كل شيء سيتغير عن قريب وستغير رأيك. الأمور في الوقت الحالي غير واضحة وقد تنقلب الموازين مؤقتا ثم ترجع المياه إلى مجاريها. وكما يقولون: «للباطل صولة وللحق دولة». وليس صحيح أن المنتصر دائما يكون على الحق. قال الإمام الشافعي -رحمه الله-:

تموت الأسد في الغابات جوعا

ولحم الضأن تأكله الكلاب

وعبد قد ينام على حرير

وذو نسب مفارشه التراب

- من السهل أن تهدم بلدة.. قد يتم ذلك في دقائق.. ولكن حتى تبنيها مرة أخرى قد تستغرق سنين طويلة. فالبناء ليس كالهدم.

انصرف المتحمس ولم يعرف كيف يرد على العجوز. ثم جاء بعد انتهاء الثورة بفترة من الزمن، جاء وهو مكسور ومخذول، فقال للعجوز:

-كل هذا الزرع الذي زرعناه وإلى الآن لم نحصد شيئا من التغيّرات التي خططنا من أجلها.

-عفوا.. أنتم زرعتم المرّ فحصدتم الحنظل! وإلا ما كانت مخططاتكم؟

- الأمن.. المال.. العلم.. توفير أعمال للشعب.. نبني البلد بالشوارع والمباني وغيرها...

- عفوا يا ولدي.. ولكن من قال لك أن هذه نتيجة الثورات؟ مرت علي أربع ثورات وكل واحدة منها كانت أفشل من الأخرى. قد نبهتك من قبل، ولم تنتبه، وكما قالوا: «اللّي ما يطيع يضيع».

- والله كان معك حق يا شيخ، فأنت عاقل.. وأنا أحمق وإن كانت عندي أفضل الشهادات.. فلم نستفد من الثورة شيئا.. بل وقع انتهاك للأعراض والسرقة والقتل وتضييع الأمانات وغيرها كما نبهتني.. وحقا «اللّي منت قدو، لا توقف ضدو».[1]

(1) اللّي: الذي. منت: ما أنت. قدو: قده: أي: مساو له في بدنه أو منصبه أو نحو ذلك. ضدو: ضده.
والمثل يضرب للذي لا يستطيع أن يتغلب عمن هو أقوى منه في البدن أو المنصب أو نحو ذلك.

العبرة من القصة: هل يخفى على أحد ظلم الحجاج؟ عن الزبير بن عدي أنه قال: أتينا الصحابي أنس بن مالك فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج، فقال أنس -رضي الله عنه-: (اصبروا فإنه لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم.. سمعته من نبيكم).[1]

فالعواطف إن لم تضبط بضوابط شرعية تصير كالعواصف، والفكر لا يزال بالعنف والقوة دائما، وإنما قد يُزال بفكر آخر.

(1) رواه البخاري (7068).

لا تجعل علاقتك بربك علاقة مصلحة!

ثامر شاب طيب ولطيف، ويحب الإحسان إلى الغير مع الرغم أنه لم يحصل على عمل بعد، ولكن مشكلته أنه لا يصلي مما أدى ذلك إلى ابتعاده عن ربه.

وفي يوم ما، التقى ثامر بصاحبه حسين:

-يا حسين.. أينما أذهب لا أوفّق! تعبت وأنا أبحث عن عمل ولكن بلا جدوى.. حتى تمكّن اليأس مني وبدأت أسيء الظن بكل شيء حولي.. وحالي يقول: «لما جيت أتاجر بالكتان ماتت النسوان، ولما جيت أتاجر بالحنّة كترت الأحزان»![1]

- استعذ بالله من الشيطان يا ثامر.. أنت أكبر من أن يخدعك الشيطان بأمر تافه كهذا.. وأعرف مشكلتك ما هي، وعلاجك عندي.

- أنت تظن ذلك.. فما هي أصل مشكلتي فيما ترى؟

- أنت ابتعدت عن ربك.. وكل يوم تزداد بعدا..وهذا أمر طبيعي.. فقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى: ﴿مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا﴾..[2] ولا تكن في يأس من رحمة الله.. وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾.[3]

(1) مثل مصري. جيت: جئت. الكتان: الحرير. النسوان: النساء. كترت: كثرت.
(2) سورة مريم، آية 75.
(3) سورة يوسف، آية 87.

طأطأ ثامر رأسه:

-صدقت.. ولكن..

قاطعه حسين:

-يا ثامر.. كلنا مقصرون، وربما ابتلاك الله بما أنت فيه لابتعادك عنه، واعلم أن الصلاة مجلبة للرزق. قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.[1]

- سأفعل إن شاء الله.. وماذا بعد؟

- ارجع إلى ربك وتب إليه وفي الوقت نفسه اسعَ في البحث عن عمل، وكما يقولون: «يا ماشي على رجليك، مش عارف المقدر عليك».[2]

- سأفعل إن شاء الله.. وغفر الله لي ولك.

بدأ ثامر يصلي ويدعو ربه، وفي الوقت نفسه يبحث عن عمل، وكاد أن يقطع صلته بربه لعدم حصوله على أي نتيجة، ولكن لولا دعاؤه الله بالثبات لانتكس. وهكذا هم البشر قد يتركون المعاصي فترة وهذا سهل جدا، ولكن من الصعب أن يستمر في ذلك مدى الحياة لأنه تحتاج إلى مجاهدة النفس.

(1) سورة طه، آية 132.
(2) مثل شامي. مش عارف: ما تعرف.

وبعد أيام، ذهب ثامر إلى حسين، وقال له:

-لم يحصل لي شيء جديد! كثيرا ما دعوت ربي، وكثيرا ما سألت الناس عن توفر عمل لي، ولكن بلا جدوى. قالوا: «اتعب تلعب»، وقد متّ من التعب وإلى الآن ما لعبت!

- أخبرنا النبي ﷺ إن أحدكم يستجاب له ما لم يعجل، يقول دعوت ولم يستجب لي. ثم اعلم أن «الإنسان ما دام حي رزقه حي»، و»لو تجري جري الوحوش غير رزقك ما تحوش».

- ماذا أفعل الآن؟

- استمر على ما أنت فيه ولا تنقطع، وادعُ الله أن يثبت قلبك ويشرح صدرك وأن يرزقك العلم النافع والعمل الصالح.

- الله كريم.

وبعد مدة، رزق ثامر بوظيفة طيبة مرموقة، وكان لكثرة الأشغال يتكاسل عن صلاته، فيؤديها أحيانا ويتركها أحيانا، حتى في يوم ما قال في نفسه:

لماذا كنت أصلي ولم أكن أصلي من قبل؟ آه.. تذكرت.. من أجل الوظيفة.. قلت حَصلّي لما يَحصلي، ولما حَصلّي بطلت أصلي.[1]

(1) مثل شامي. ومعناه: قلت سأصلي حتى يحصل لي ما أريد، ولما حصل لي ما أردت قلت لن أصلي.

ترك ثامر الصلاة بعدها بالكلية، وافتقده حسين في الجامع فلم يحضر ليصلي مثلما كان يفعل. ذهب حسين إليه، وقال له:

-يا عزيزي ثامر.. كل شيء يذهب ويبقى عملك الصالح، وإذا أطعت الله فيما أمرك فلن يخذلك في ساعة الشدة، وكما قالوا: «خادم الله مخدوم». انتبه يا ثامر ولا «تلقِ نفسك في التهلكة».

استهزأ ثامر به ولم يلقِ له بالاً:

-عش حياتك واتركني أعيش حياتي!

-«رجعت حليمة إلى عادتها القديمة».. انتبه يا ثامر.. أخشى أن الله لا يبارك لك في رزقك لتقديم عملك على صلاتك.

- إن حصل ذلك فهو قدري.. ومن يستطيع أن يمنع الله ما كتبه علينا؟

- ليست هكذا الحسبة.. إنما..

- أنا مشغول وعلي أن أذهب.. السلام عليكم.

مرت الأيام وانفصل ثامر عن عمله ورجع «كما كنت» يشكو حاله إلى حسين، وقال له: بدأت أصلي..

قال له حسين: أنت مثل البحّارة، لا يذكرون ربنا إلا ساعة الغرق!

العبرة من القصة: لا تجعل علاقتك بربك علاقة مصلحة، تصلي كي يعطيك وتترك الصلاة عندما تشبع، واعلم أن عبادتك لربك لن يضيعها وسيؤجرك عليها. وإذا أعطاك الله ما تحب ليس دلالة على محبته لك، فقد يكون استدراجا كما فعل مع قارون. وفي الحديث الصحيح: (وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم).[1]

(1) رواه الترمذي (2396) وصححه الألباني.

المُعانِد

قاسم رجل مُعاند وينبذه الناس بسبب هذه الخصلة الذميمة، فالعِناد الشديد صفة كريهة ومؤذية ولا يقبلها أو يتحملها أحد مهما بلغ صبره. وقد ابتلي به صاحبه يعقوب، فأحيانا -إن لم يكن في كل حين- يود أن يعتذر عن مقابلته ولكنه رجل حَييٌّ.

وفي يوم ما ذهب قاسم إلى بيت يعقوب، ووضع يعقوب التمر أمامه، وقال لقاسم:

-كُل التمر، ولله الأمر.

- هذه جمرة وليست تمرة!

إن يعقوب يعرفه جيدا ويعرف تصرفاته تماما، فهو متورط به دائما، فأكل يعقوب التمرة أمامه، وقال ضاحكا:

-هذه ليست تمرة ولا جمرة، فيما يبدو أنه محشي! «افرح يا كرشي،[1] والدتي عملت محشي»!

نظر إليه قاسم نظرة حقد.. ثم جاء طائر صغير في الغرفة التي يجلسان بها، فقال يعقوب:

(1) الكرش: البطن الكبير.

-ما رأيك بطائري الجميل؟ انظر كيف يشرب الماء، على قدر حاجته. صدق من قال: «كل طير يشبعه منقاره».[1]

- هذا ليس طيرا، و«أيش عرّف الحبيب بأكل الزبيب»![2] هذه عنز!

نظر إليه يعقوب نظرة استغراب ولم يتوقع أن قاسم سيصل إلى هذا المستوى من العِناد في يوم من الأيام، فلم يرد عليه.. ثم طار الطير وذهب.

صرخ قاسم: هي عنز! عنز ولو طارت!

فكلام قاسم ونقاشاته كلها مملة، ويخرج المرء من عنده بلا فائدة مرجوة!

لم يتمالك يعقوب نفسه فقال لقاسم:

حياك الله يا قاسم.. تشرفنا بقدومك اليوم.. وكما يقولون: طالضيف المنظوم بياكل وبيؤوم.[3]

- ماذا؟ تطردني؟

- حاشا لله.. ولكن اليوم عندي بعض الالتزامات التي علي أن أؤديها.

(1) مثل دارج في الخليج. منقار الطائر: ما ينقر ويتناول به الطائر طعامه. ومعنى المثل: كل شخص يأكل أو يشرب على قدر حاجته. يقال غالبا عندما يطلب من الشخص أن يأكل أكثر.
(2) أيش: أي شيء. وهي عربية فصيحة.
(3) مثل شامي. المنظوم: المحترم. بيؤوم: يقوم.

مرّ ولد يعقوب عليهما مرورا سريعا بدون سلام وأنشد بصوتٍ عالٍ:

أنت يا هذا ثقيـــــــل

وثقيـل وثقيـل

أنت في المنظر إنسان

وفي الميزان فيل

قال قاسم: كأني لست مرغوبا عندكم اليوم... السلام عليكم.

قام قاسم من المجلس وهرول إلى سيارته وهو منزعج جدا لما حصل له. فأول مرة يظهر يعقوب التذمر منه في حياته منذ التعارف، وكذلك أظهر ولده الصغير بما في قلبه وبما يخفيه في نفسه تجاه قاسم.

رجع قاسم إلى بيت يعقوب بعد أسبوع، واتصل عليه وطلب منه أن يفتح الباب ليدخل، فقال يعقوب: البيت لم يعد بيتنا، فقد انتقلنا إلى العيش بين القبور، وهذا حال الدنيا، تشرق ونحن في القصور، وتغرب ونحن بين القبور.

لم يقتنع قاسم وعلم أن يعقوب يتهكم به، فذهب وضرب الباب حتى يفتح له الباب فيعرف هل حقا انتقل يعقوب إلى بيت آخر أم أنه لا يريد الجلوس معه. وظل يطرق الباب لساعات طويلة دون أن يفتح له أحد.

جلس قاسم ينتظر يعقوب حتى يخرج من المنزل. وبعد مرور ساعتين خرج يعقوب من المنزل، فاختبأ قاسم لئلا يراه، فلما اقترب منه، قال قاسم:

يا كذّاب! تقول أنك انتقلت إلى بيت آخر؟ لماذا تكذب؟ قل لا أريد أن أراك.. ألا تعلم أن الكذب خلق ذميم.

حاول قاسم أن يرفع صوته بقدر الإمكان حتى يُسمع الجيران والأصحاب والمحبين ليشوّه سمعة يعقوب فيخاف ولا يتعامل معه مرة أخرى بهذه الطريقة، ولكن تفاجأ قاسم برد أحد الجيران:

وماذا عن أخلاقك يا هذا؟ طُل بجيبك وشوف عيبك![1] ويعقوب المسكين حقا طيب عندما كذب عليك، فالمفترض أن يبلغ عنك الجهات الأمنية في إزعاجك له!

وقال جاره الآخر: يا مؤذي الناس! أنت المفترض أن تُقتل ليرتاح الناس منك! ولكن: «خسارة فيك الطلقة»![2] وخسارتك لأصحابك من صنع يدك، فلا يحق لك التمسكن، فإنه ينطبق عليك المثل: «تغندري وقولي مقدرّي»![3]

(1) مثل دارج في الكويت. طُل: الخطفة من النظر. شوف: انظر.
(2) الطلقة النارية أو الرصاصة.
(3)مثل شامي. تغندري: كوني سيئة الخلق. وقولي مقدرّي: قولي هذا قدري.

العبرة من القصة: المعاند أو سيء الخلق أو المؤذي غير مرغوب به إلا عند من شاكله، فالطيور على أشكالها تقع. فلا يحق لسيء الخلق أن يحتج بالقدر، فهو أوصل نفسه إلى ما وصل إليه بصنع يده. وإن ابتليت بمعاند أو مكابر عن الحق في بداية علاقتك معه حاول ألا تكمل في مصاحبته، وإن اكتشفته متأخرا فحاول إصلاحه، وإن لم تستطع فلا تطيل معه وأسرع بالانسحاب من العلاقة بأقرب وقت وبدون إيذاء.

الوسواس

أصيب أسامة بوسواس في صلواته وبدأ يكرر ويعيد صلواته حتى تعب، وفكر بترك الصلاة كليًّا بالمرة، فلجأ إلى من يظنه صديقا، واشتكى له الحال، فقال له الصديق:

احمد ربك على كل حال.. الناس عندهم مصائب وبلايا أعظم مما أنت فيه، فهناك من خسر أباه وماله، إلخ.. كل ما عليك فعله الاستعاذة بالله من الشيطان والتوكل على الله.

قال أسامة: صدقت.

وأسرّ أسامة في نفسه: وأي مصيبة أعظم من خسارة الدين؟ ولكن «إذا كان بدك تستريح، شو ما شفت قول عنه منيح».[1]

ذهب أسامة إلى صديق ناصح يُدعى زيد ليطرح عليه المشكلة نفسها، فقال له زيد:

-إنا لله وإنا إليه راجعون.. أولًا: أبشرك أنك صاحب إيمان وإلا ما يفعل الشيطان في بيت خرب؟!

ثانيا: لا تهمل هذه الظاهرة ولا تسترسل فيها وإلا آلت إلى أمور أسوأ.. لا تكن كمن «حطو أولادكن عالحيطان وقولوا هذا شغل الشيطان».[2]

(1) مثل شامي. بدك: أردت. شو: أي شيء. منيح: جيد.
(2) مثل شامي. حطو: اجعلوا أو ضعوا. عالحيطان: على الحيطان. والحيطان جمع حائط.

-لا يشكر الله من لا يشكر الناس.. أشكرك على هذه البداية الطيبة، ولكن كيف لي أن أعالج هذا المرض؟

-أظنك تريد الاختصار، فمن «كثر هذره قلّ قدره»،[1] والكلام الكثير ينسي بعضه بعضا. صحيح؟

- صدقت، ف«خير الكلام ما قلّ ودلّ».

- الحل: «طنش تعش».[2]

- ماذا؟

- ألم تسمع أن «الحقران يقطع المصران»؟[3] هذا إن أردت أن تقطعه، وأما إن أردت أن يتمادى ويتسلط عليك أكثر فخذ وأعطِ معه.. كما قالوا: «خد وإدي تكسب ودي»[4].. طبعا تكسب ودّ الشيطان، وستكون حميمه!

- كلام طيب.. ولكن ماذا أفعل إذا جاءني هذا الشعور؟

- لا تُلقِ له بالا وكأنه لم يخطر عليك.. عندك يقين أنه من الشيطان، فلماذا هذا التردد؟

(1) مثل دارج في الكويت. والهذر كلمة فصيحة. قال ابن منظور في لسان العرب، مادة (هذر): الكلام لذي لا يعبأ به.
(2) طنش: تغافل. تعش: تعيش عيشة طيبة.
(3) مثل دارج في الكويت. الحقران: التغافل. المصران: الأمعاء.
(4) مثل مصري. خد: خذ. إدي: أعطِ.

- صدقت يا زيد.

ذهب أسامة يفكر في كلام زيد واقتنع أن الشيطان يريد إفساد عبادته، وهذا حال شياطين الإنس والجن، لا يرتاحون حتى يفسدوا غيرهم، ف«الحسد أخرج إبليس من الجنة».

جاهد أسامة نفسه وكلما جاءه الشيطان تجاهله تارة، وسايره تارة، حتى استطاع ألا يلقي له بالا، ورجع يصلي صلاته بطريقة صحيحة ورجع إلى حياته الطبيعية.

العبرة من القصة: دائما الجأ إلى من يحبك لا إلى من تحبهم أنت، فليس شرطًا أن من تحبه يحبك، ولا تسمع كلام شياطين الإنس والجن، ولا تعطهم فرصة للكلام معك حتى لا يستدرجوك في وحلهم.

لا تعتمد على غيرك في شؤونك

حمد طالب جامعي يحب كليته لأنه يحب تخصصه. فمن عادته أنه يذهب في الصباح الباكر ليجلس ويقرأ في المكتبة، وإن كانت أول محاضراته تبدأ متأخرة.

وفي مادة من مواده لهذا الفصل، قرر مدرّسه أن يكلفهم ببحث، وقال لهم:

أكلفكم أن تكتبوا لي بحثا عن «الدور التربوي للمعلم وتأثيره على الطلاب». البحث يكون من عشر صفحات على الأقل، وفيه خمسة مصادر ومراجع على أقل الأحوال. أرجوكم يا طلابي الأعزاء أن تبحثوا وتلخصوا وتكتبوا بأنفسكم وألا تستعينوا بمن يكتب نيابة عنكم.. صدقوني ستجدون لذة العلم ولو بعد حين.

قال حمد: لذة العلم بالقراءة والبحث والتلخيص.. وستظهر الثمرة على الطالب بخلاف من يستعين بالباحثين للكتابة عنهم.. ولكن يا دكتور إلى متى تمهلنا لتسليم البحث؟

قال الدكتور: عندكم شهر من الآن.. مناسب؟

قال الطلاب أجمعون: مناسب جدا.

انتهت المحاضرة وانصرف كل طالب إلى حال سبيله، فلحق سعد صديقه حمد قائلا له:

-أهلا يا حمد.. قد دخل موسم الشتاء كما تعلم.. وأدعوك لزيارتي في خيمتي في البر كل نهاية أسبوع.

- لي الشرف أن ألتقي بأناس طيبين أمثالك.

وبدأ حمد يذهب لخيمة صاحبه في نهاية كل أسبوع ليستمتع ويفرح مع أصحابه من ممارسة أنشطة رياضية مختلفة. وقد صادف حمد ظروف عائلية في هذه الفترة فتغير نمط حياته. فصار يذهب إلى المحاضرات متأخرا وقد كان في الماضي يذهب ويجلس في المكتبة قبل بدء المحاضرات بثلاث ساعات تقريبا.

تكاسل حمد عن أداء البحث فأهمل حتى ذهبت الأيام والأسابيع فظل يوم واحد فقط لتسليم البحث. فذهب إلى المكتبة وكلفهم بكتابة بحث مقابل مبلغ من المال.

رآه سعد في المكتبة صدفة وأحب أن ينصحه، فقال له:

-لم أتوقع هذا الشيء منك يا حمد.. قم بكتابته بنفسك.. صدقني يا حمد، «ما يحك ظهيرك إلا ظفيرك»..[1]وإن أدوه لك فلن يكتبوه بالطريقة التي تريدها أنت.

(1) مثل دارج في الكويت. يحك: من الحك وهو الخدش. ظهيرك: تصغير ظهر. ظفيرك: تصغير ظفر. والمثل يضرب لقيام المرء بأموره بنفسه.

– لن يكتبوه لي بالمجان، وإنما مقابل مبلغ من المال! كما يقولون: «بفلوسك بنت السلطان عروسك»! وسيكون مطابقا لما أريد بإذن الله.

– ومن يجزم بذلك؟ ثم ما حكم ما تفعله؟ أليس فيه غش؟ فالأستاذ يود معرفة مستواك وقدرتك على البحث، ولا يحق لك أن تفتخر بما لم تفعل. كما قالوا في الأمثال: «قال منو أبوك يالبغل قال خالي الحصان».[1]

– «لولا الظنة دخلنا الجنة».[2]

– وما دفعك لهذا الشيء؟

– ظروف..

– لا تقدم متعتك على واجباتك.. أنت تأتي كل نهاية أسبوع عندنا في البر وأنت مفرط في حقوق جامعتك. لو أعلم ذلك لنصحتك، ولكني مقصر معك وكان من المفترض أن أسألك أين وصلت في البحث. صحيح إني أخرج وأستمتع معكم، ولكن يشهد الله أني كتبت البحث بنفسي ولم أفرط في ذلك، ولم ولن يكون فرحي واستمتاعي بالوقت وممارسة هواياتي على حساب دراستي أو عملي.

(1) مثل دارج في الكويت. منو: من. والمثل يضرب للمرء الذي يفتخر بما لم يفعله.
(2) أي: لولا سوء الظن لدخلنا الجنة.

– صدقني لست هذا النوع من الناس.. ولكن اضطررت لفعل هذا الشيء.. خصوصا الآن ليس ثمة وقت باق لتسليم البحث، وسيكون أول وآخر مرة بإذن الله.

– قد نصحتك وأديّت الذي علي، وأنت اختر ما يناسبك.

انصرف حمد، ورجع بعد أربع ساعات ليستلم البحث. ثم رجع البيت وكان منهكا، فوضع البحث في حقيبته بكل ثقة دون تصفحه، ووضع رأسه على الوسادة ونام!

استيقظ في الصباح وذهب إلى الجامعة، وكانت أول محاضرة عند الدكتور الذي طلب منهم البحث. أخرج حمد البحث من حقيبته، وقبل أن يسلمه للأستاذ، قرأ العنوان: «دور الأب التربوي تجاه أبنائه»! ومن ثم انحرج في تسليم البحث فلم يسلمه، وقد كان آخر يوم للتسليم، ورفض الأستاذ إعطاءه مهلة.

قال حمد: صدق من قال: «يا خال أبوي حك ظهري».[1]

العبرة من القصة: قم بأعمالك بنفسك، فلا تضمن أن يؤديه لك غيرك، وإن أداه فربما لن يؤديه كما أردت. و«لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد»، وفي الوقت نفسه لا تستعجل ولا تتأخر.

(1) المثل يضرب للشخص البعيد عن قرابتك الذي ترجو منه أن يساعدك ويقف بجانبك.

التخلص من مصيبة بالغش!

ابتلي ناصر ببنت صاحبة لسان طويل، فلم يسلم من لسانها قريب ولا بعيد.

كبرت ابنته ريم وتأخرت جدا في الزواج، وكانت تشتكي الحال، فأحب أن يواسيها أبوها على الرغم من إيذائها وتسلطها، ولكنه شعور الأب في كل وقت وحين.

قال ناصر لابنته ريم:

-الحمد لله على كل حال يا ابنتي، و«نصيبك لا بد أن يصيبك».. وطقعدة خزانة ولا جوازة ندامة»![1]

- لأنكم أهلي فلن أوفّق! أنتم من شوهتم سمعتي! حقا إن «الأقارب عقارب»!

لم يستطع الأب أن يتحمل هذا اللسان أكثر من ذلك.. فإنه لسان سام.. و«مكان العقرب لا تقرب»!

ذهب الأب إلى رجل اسمه «بدر» وهو ممن يتوسم فيهم الخير والصلاح، وعرض عليه ابنته قائلا:

(1) مثل شامي. جوازة: زواجة. والمثل يضرب لعدم التحسر على تأخر الزواج فإن الخير فيما اختاره الله.

-ابنتي من خيرة البنات.. فهي تؤثر غيرها على نفسها.. وينطبق عليها المثل «يا دهينة لا تنكتين».[1] تقدم لها الكثير ولكنها ترفض دائما حتى يكون المتقدم معروفا بالصلاح.

- أنعم وأكرم بكم.. فأنتم من خيار الناس.. ولكن «الفلوس تجيب العروس»،[2] وأنا مفلس، وأنت أعلم بحالي.

- لا يهمنا المظاهر ولا المال، فنحن نشتري الرجال. وكما يقولون: «أبو كرش يصونك ولا أبو عضل يخونك».[3]

- أضحك الله سنك يا عمي، أنا محظوظ بك لأنك تمتاز بالمزاح والدعابة أيضا. أنت تعلم أن علي أن أستشير والدي قبل كل شيء، أم أن كلامي فيه شيء من الخطأ؟

- كلا.. استشر واستخر و«ما خاب من استشار».

عرض بدر فكرة ناصر على والديه وقد استحسنوها لأنه رجل طيب ومعروف. تم عقد الزواج ودخل ناصر بزوجته ريم وعاشا معا شهرا كاملا، وكانت تتصنع الأخلاق الحسنة.

(1) مثل دارج في الكويت. دهينة: تصغير دهن. لا تنكتين: لا تنسكبي. ويضرب للشخص الذي يبالغ في الإحسان لدرجة أنه يحاول ألا يُحزن أو يؤذي أحدا بشتى الطرق، فهو يتعامل مع الشخص مثل الدهن الذي يحاول ألا ينسكب من يده.
(2) تجيب: تأتي.
(3) أبو كرش: كناية عن البدين. أبو عضل: صاحب جسم معضل. والمثل يضرب لتقديم صاحب الأخلاق على الوسيم أو نحو ذلك.

ثم بعد ذلك اضطر بدر إلى السفر للعمل لمدة أشهر، وتفاجأ بعد أسبوع من سفره أن زوجته حامل ب«أربع»، وفرح جدا! واتفقا أنه يرجع إلى البلد قبل الولادة بأيام.

وبالفعل رجع بدر من السفر حينما قاربت ريم الولادة، فولدت أربع أطفال.

وعاش بدر معها لمدة شهر ثم لم يتحملها، ف«الطبع يغلب التطبع»!

قال بدر لعمه ناصر:

-الطلاق استقرار كما أن الزواج استقرار.. والآن أتمنى الاستقرار ولا أستطيع الاستمرار معها وأظنك تعرف السبب.

-ابنتي هادئة وطيبة جدا وأستغرب كيف لا ترغب فيها! ربما طال لسانها قليلا لأنها تخشى أن تأخذ حقها ولذلك تعاملك بهذه الطريقة.. وهذا طبع النساء.. و«الحقوق يبيلها حلوق».[1]

- «يا ليل ما أطولك».. زوجتي طالق.. كما دخلنا بالمعروف نخرج بالمعروف.

- «قلت أزوج ابنتي وأتخلص من بلاها، رجعت لي وأربعة وراءها»!

(1) يبيلها: يحتاج إلى. حلوق: جمع حلق. والمقصود أن الحقوق تحتاج إلى لسان يتكلم ويطالب به.

وهذه حقيقة كثير من الناس، يتحايلون ليتخلصوا من مصيبتهم فيقعون بمصيبة أعظم. وفي هذا قالوا: «يبي الفايدة وجاته الخسارة الزايدة».[1]

قالت ريم نهاية المطاف: يا أبي، «الطبع يغلب التطبع» ولا بد أن «المخفي يبان»،[2] ف«حبل الكذب قصير» مهما طالت المدة، و«من عاش بالمكر مات بالفقر».

العبرة من القصة: الغاية لا تبرر الوسيلة.. مهما وصل بك الحال إلى اليأس والملل والتعب فلا يباح لك أن تخدع وتغش، وإن خدعت مرة وسلمت فلن تسلم كل مرة، ولا بد أن تقع في الفخ.

(1) مثل دارج في الكويت. يبي: يبغي أو يريد. الفايدة: الفائدة. جاته: جاءته.
(2) يبان: يظهر.

بداية زواج أم بداية حرب؟

خطب سالم فتاة اسمها جميلة، وبعد مرور الأيام قررا الزواج. وبدأ أهل كل واحد منهما بإعطاء النصائح والتوجيهات من خلال تجاربهم في الحياة.

قال أبو سالم لابنه: «كيد النسا مين قدو لو مال عالحيط بهدّو».[1] لذلك كن حازما معها منذ البداية.. و«اضرب القطّوس تخاف العروس».[2]

قالت أم جميلة لابنتها: لا تعطيه فرصة للابتعاد.. وحاسبيه أول بأول.. و«قصقصي طيرك لا يلوف لغيرك».[3] وتذكري: «يا مؤامنة للرجّال يا مؤامنة للحية في الغربال».[4]

دخل سالم على جميلة وهو فرح جدا وقد نسي وصايا أبيه.. لأنها ليلة العمر و«لو يرى قردة لحسبها وردة»!

قالت جميلة: «إذا لعبت مع النسوان عد حالك من الأول خسران».[5]

(1) مثل شامي.النسا: النساء. مين: من. قدو: قده (بمعنى: يتحمله). عالحيط: على الحيط. بيهدو: يهده (من الهدم).
(2) مثل دارج في بلاد المغرب العربي. قطوس: القطة.
(3) مثل مصري. قصقصي: فعل أمر من (القص). طيرك: كناية عن (زوجك). يلوف: يلتف.
(4) مثل مصري. مؤامنة: مؤتمنة. الغربال: أداة دائرية يغربل بها الطحيم وما إلى ذلك وبه ثقوب صغيرة تنقي المادة المغربلة.
(5) مثل شامي. عد: احسب.

قال سالم: وهل لي اللعب على زوجتي؟ الذي ليس فيه خير لأهله ليس فيه خير لأصحابه.

سمعت أم سالم هذه المحاورة فقالت في نفسها: «أنا اللّي ربيت ولغيري صفيت»![1]

فنادت أم سالم ولدها وقالت له مذكرة: «الكنّة أول سنة عروس، تاني سنة جاسوس، تالت سنة حية بسبع روس».[2]

رجع سالم إلى زوجته وبدأ بالصراخ معها.. وأيضا ردت جميلة الصاع بصاعين.. وظلا على هذه الحياة الكئيبة لمدة أربعة شهور إلى أن انفصلا.

قالت الزوجة لأهلها: زوجي دائما يغضب ويحزن بسرعة.. و«يعمل من الحبة قبة».. ويعمل «عويل وصريخ على حتة بطيخ»..[3] و«لو تقول له جاموس لقال لك فانوس»!

قال سالم لأهله: زوجتي دائما «رافعة حاجبها وماحد عاجبها»![4]

علم بذلك حكيم ويعتبر صديقا لكلتا العائلتين، فقال للعائلتين: خروج العيب من أهل العيب ليس بعيب!

(1) مثل دارج في الكويت. تقوله الأم عن ولدها. اللّي: الذي. لغيري صفيت: ذهبت لغيري.
(2) مثل شامي. الكنّة: زوجة الابن. تاني: ثاني. تالت: ثالث.
(3) مثل شامي. يضرب لتضخيم الأمور عند المشاكل أو سوء الفهم.
(4) مثل شامي. ماحد: لا أحد.

قالوا له: وكيف ذاك؟

قال: أنتم من زرعتم هذا الشيء في نفوس أبنائكم وجعلتموهم يشعرون أنهم داخلون في حرب بدلا من تعليمهم أن يعينوا بعضهم بعضا وأن تدعوهم إلى الحب والمودة والألفة.

العبرة من القصة: قد تحصل مشاكل ومصائب من لا شيء، معتمدين على أوهام وسوء ظن. لعلاقة زوجية أفضل، أو علاقة أخوية أو صداقة أفضل، أحسنوا الظن.

لا تتكلم ولن تُحسد أو يُمكر بك

خديجة امرأة طيبة القلب وتحب زوجها وزوجها يحبها، وعاشا منذ سنوات طويلة على الحب والمودة والتفاهم.

وكانت لخديجة صديقة عزباء اسمها بدرية، وكانت تستضيفها في البيت دائما، وتحبها حبا جما.

وفي يوم من الأيام استضافت خديجةُ بدرية ليشربا الشاي والقهوة سويًّا:

-يا بدرية، الحمد لله، قد منّ الله علي بنعم كثيرة، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها. ومن نعمه أنه رزقني زوجا صالحا!

- هنيئا لك، فغيرك إما لم يتزوج إلى الآن، أو قد تكون متزوجة رجلا سيء الخلق فتقول متحسرة: «الجود من الموجود»! أم ما رأيك بكلامي؟

- صحيح..

ثم سكتت خديجة هنيهة ناسية أن بدرية عزباء، بدأت تفكر بما ستقوله، فقالت: رزق الله العزباء الزوج الصالح والذرية الصالحة، وعوّض الله خيرا من ابتليت بزوج قاس.

وبدأت تسرد خديجة أفضال زوجها عليها وكأنه ملك نازل من السماء أو كنز مدفون وهي من أخرجته.

بدأت بدرية تفكر عن سبب سرد فضائل زوجها.. هل هي متعمدة لتغيظني؟ أم أن نيتها صافية؟

قالت بدرية بعد تفكير عميق:

-تعلمين أن الناس يحسدون الأعور على ضخامة عينه، فلا داعي لبث فضائل زوجك، وإذا أردت أن تفعلي شيئا في المستقبل فلا تخبري أحدا، و»اقضوا حوائجكم بالكتمان».

- صحيح.. ولكن الله يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.[1]

- نعم.. ولكن هذا لدافع معين كتشجيع غيرك، أو ربما عند من تحبينه ليفرح لك ويشجعك ويبارك لك، وليس لأي أحد.

- وأنا لم أقل لأي أحد، وإنما قلته لحبيبتي وصديقتي.

- شكرا على إحسان ظنك.. ولكن انتبهي لنفسك ولزوجك.. أخشى أن يحسدك أحد أو تخطفه امرأة منك.

- قاتل الله من أراد بي أو بزوجي سوءًا.. يا رب لا توفقه ولا تجعله ينام الليل!

(1) سورة الضحى، آية 11.

– ما هذا الدعاء والشتيمة.. احفظي لسانك خير لك.. ألم تسمعي قول الشافعي:

احفظ لسانك أيها الإنسان

لا يلدغنك إنه ثعبان

وكم في المقابر من قتيل لسانه

كانت تهاب لقاءه الشجعان

– تخافين أن تكوني داخلة في دعائي؟ اعترفي..

– أعوذ بالله.. لست خائفة.. كما قالوا: «ظالم لا تكون ومن الدعا لا تخاف». نصحتك فقط لحفظ لسانك.. لا أكثر ولا أقل من ذلك.

– على كل حال.. بيني وبين زوجي مشكلة يسيرة، ولكن أخشى أن تكبر مع الوقت.. لأن أحيانا المرء لا يرتاح إلا عندما يعمل من «الحبة قبة».

– وما هي المشكلة؟

– لا أستطيع الإنجاب.. حاولت أن أتعالج ولكن بلا جدوى.

– هذا الشيء بيد الله.. و«القدر سر الله في خلقه».. ولا يعلم أحدنا أين الخير. أليس كذلك؟

– بلى.. ولكن زوجي بدأ يشتاق ليكون أبا.. وهذا أمر فطري.. وليس باليد حيلة.

– الأمر سهل للغاية.

– كيف؟

– دعيه يتزوج بأخرى وينجب..ف»الشرع حلّل أربع»، وفي الوقت نفسه ستشتاقان إلى بعض أكثر.

– أمجنونة أنت؟ ألا تدرين أن «الضرة تحر ولو في القبر».[1] فكيف بامرأة على قيد الحياة؟

– هل يحرم أن أمزح معك يا خديجة؟

خططت بدرية للزواج من زوج خديجة، فكلمته وأقنعته مع مرور أيام طويلة.

قالت خديجة لبدرية بعدما علمت عن زواجها منه:

–كيف أخذتِ زوجي مني!

–لم تحتفظي بأسرار بيتك.. وإذا «عُرف السبب بطل العجب».

(1) مثل دارج في الكويت. الضرة: شريكة الزوجة. تحر: تقهر. وفي بعض البلاد العربية: الضرة مرة ولو قحف جرّة.

– حقا إن «الساكت سم ناكت»![1] أنت الآن عدوتي، و«العدو ما بيصير حبيب حتى يصير الحمار طبيب»![2]

– «لا تحكي عن جوزك لصاحبتك، يا حسدتك يا أخدته منك».[3]

– صدق من قال: «أحبب حبيبك هونا وأبغض عدوك هونا». أين كنتُ عن قول الشاعر:

احذر عدوك مـــرة

واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق

فكان أعلم بالمضـــرة

العبرة من القصة: لا تتكلم عند كل من هبّ ودبّ، وأيضا لا تتكلم عند من يحبك، فربما لا فائدة من ذكر نعمة الله عليك، وإنما يباح ذكر نعمة الله عليك أحيانا لتشجيع غيرك أو نحو ذلك. والأصل كما قال النبي ﷺ: **(استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود)**.[4]

(1) يضرب للشخص قليل الكلام لكنه متربص وينتهز الفرصة.
(2) بيصير: يكون.
(3) مثل شامي. جوزك: زوجك. أخدته: أخذته.
(4) حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (1453).

اتقِ الله ما استطعت!

كان هناك ولد يُدعى «راشد» يصلي أغلب صلواته في المسجد، فالتي يصليها في المسجد يصليها في وقتها، وأما إن فاتته الصلوات أو خرج وقت الصلاة فإنه يصليها في البيت، وكان لا يستطيع أن يصلي الفجر في وقتها.

وكان دائما تراوده أفكار في ذهنه، فيقول في نفسه دائما: هل أنا عبد لله؟ أم أعبده على هوى؟ هل أترك الصلاة؟

وذات يوم وهو في طريقه إلى المسجد، رأى شخصًا يُدعى «حامد»، استوقفه حامدٌ وقال له:

-يا منافق... تعبد ربك على هواك؟ تصلي متى ما شيءت ولا تذهب إلى الصلاة متى ما شيءت؟ وهل هو محل تجاري لك حتى تقرر متى تفتح ومتى تغلق؟

- أنت لا تصلي مطلقا.. بدلا من أن تصلي، تقول لي هذا الكلام الذي لا معنى له؟!

- أقل الأحوال لست منافقا ولا أعبد ربي على هوى، ولا أخادع الناس بأني صالح ولست كذلك.

انصرف راشد عنه ولكن ظلت الشبهة في باله.. وفي هذا إشارة إلى خطورة استماع أقوال المخذلين.. فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾.[1]

وقبل دخول المسجد، رأى جاسم راشدا حزينا، فقال له:

-لِمَ أنت حزين يا راشد؟ «هونها وتهون».. أنت مقبل على رب العالمين.. اسأله أن يفرج همك وأن يسهل ما تعاني منه.. إنه مجيب الدعاء وبالإجابة جدير.

تبسم راشد:

-شكرا على رفع معنوياتي يا صديقي.. وإن شاء الله سأفعل ما نصحتني به.

دخل راشد في الصلاة وصلى صلاة مشوشة لأنه يفكر بما حصل. وبعد الانتهاء من الصلاة، سرعان ما قام راشد وذهب إلى البيت ولا زال يسترجع في نفسه ما حصل بينه وبين حامد.

فقرر راشد مع الأيام ترك الصلاة كليًّا.. وهكذا هم الناس، بدلا من التفكير بتحسين الخطأ فإنهم يقررون ترك الخير والازدياد من الشر.

(1) سورة الأنعام، آية 112.

افتقده جاسم الذي كان يلتقي به في المسجد، ولما رآه بعد غيبة طويلة، قال له:

«من طوّل الغيبات جاب الغنايم»![1]

رد عليه راشد بنبرة حزينة:

-خير إن شاء الله.

- افتقدناك في المسجد يا عزيزي راشد.. فبعد الصلاة نشعر أننا فقدنا عضوا من أعضائنا.

- والله يا أخي لا أستطيع أن أصلي الصلوات في أوقاتها، وفكرت في نفسي وقلت كأنني أخادع ربي والعياذ بالله، فقررت أن أترك الصلاة كليًّا!

- الله المستعان.. «لا سراجين ولا ظلمة»![2]

- ماذا أفعل؟ انصحني وفقك الله.

- يا أخي جزاك الله خيرا على الصلوات التي صليتها في أوقاتها، واستمر عليها..

(1) جا: جاء. معنى المثل: من أطال الغياب ثم ظهر مرة أخرى يأتي بالأخبار والأمور المفرحة. وتقال مداعبة للشخص.
(2) مثل كويتي بحري. يضرب للاعتدال في الأمور. وسراجين: مثنى سراج وهو المصباح الذي يضيء.

قاطعه راشد:

-هذا الذي كنت أفعله حتى تركت كليًّا.

- على هونك.. أعلم ذلك.. ولكنك لم تدعني أكمل حفظك الله. صلِّ ما استطعت.. وأما تقصيرك في بعض الصلوات فجاهد نفسك عليها، ولا يعني أنك تتركها! لو كان عندك فلسا تتخلص منه أم تجمع فوقه؟

- أجمعه ولا أتركه.

- أرأيت؟ مع أنه مبلغ زهيد، ولكن من يدري لو جمعت ما ستكون النتيجة؟ كمن يريد الزواج ولا يستطيع أن يعمل عرسا، ف«الفلس مع الفلس تستطيع أن تقيم به العرس»!

- أحسنت.

- وإذا عندك شيء من الخير فلا تتركه، وإن كان قليلا، ف«قليل دائم خير من كثير منقطع».

- سأفعل إن شاء الله.

أمسك جاسم يد راشد:

اسمعني يا راشد يا صديقي الحبيب.. هذه الشريعة سمحاء، والله سبحانه وتعالى لا يأمرك بشيء يشق عليك أو شيء لا تستطيع فعله.. أتوافقني؟

- نعم.

- «إذا أردت أن تطاع فأمر بالمستطاع».. مستحيل أن الله سبحانه وتعالى يأمرنا بأمر لا يستطيع عليه إلا الأنبياء أو أفراد من الناس.. وحينما أنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.[1] قال الصحابة: من ذا الذي يستطيع أن يتقي الله حق تقاته؟ فأنزل الله بعدها: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾.[2] فكن مع الله يكن الله معك.

- الآن ارتحت.. وذهب ما في قلبي.

- ولكن انتبه.. سيسخر منك شياطين الإنس ويريدون أن يحبطوك عن هذا العمل، فلا تلق لهم بالا.

- بإذن الله.

العبرة من القصة: إذا لم تستطع أداء حق الله أو حق الناس كاملا، أدِّ منه ما استطعت، و«ما لا يدرك كله لا يترك جلّه». ولا تلتفت إلى الشيطان حينما يقول لك إما أن تؤدي الحق بالكامل أو كن ظالما في جميع الأمور!

(1) سورة آل عمران، آية 102.
(2) سورة التغابن، آية 16.

الناس لا تقدرني!

عشت حياة جميلة في الصغر... وتمنيت أن أكبر في أقرب وقت ممكن.. وعندما كبرت تمنيت لو أرجع صغيرًا.. وهذا حال جميع الناس فيما يبدو.

وسبب ذلك فيما أظن أن قلوب الصغار أطيب من الكبار، فالصغير قد يحسد ويحقد على أمور تافهة كالتنافس على اللعب على سبيل المثال، ثم ينسى، كما قالوا في الأمثال: «الصغار يتصالحون والكبار يتفاضحون». وأما الكبار فيكيدون ويحقدون ويحسدون الميت على موتة الجمعة.. فلا مفر منهم!

ومن هنا كثرت الخلافات..

فسبّني الغريب فقلت لأعز أصحابي:

-«جرح الخنجر يطيب وجرح اللسان ما يطيب».[1]

- إنه غريب و«اللّي ما يعرفك ما يثمنك».[2]

- «الغريب ذيب وعضته ما تطيب».[3]

(1) الخنجر: آلة حادة تشبه السكين. يطيب: يتشافى.
(2) اللّي: الذي. معناه: الذي لا يعرفك لا يعطيك حقك ومنزلتك التي تستحقها.
(3) ذيب: ذئب. تطيب: يُشفى منه.

- لا تكترث بالغريب، فطعنه لن يشعرك بأنك غريب، وإنما تشعر بأنك غريب حينما يجافيك الحبيب، فالغريب من جفاه الحبيب. أليس كذلك يا صديقي الحبيب؟

- صدقت، ولكن أكره تطاول الناس علي، وأود أن أوقف كل واحد منهم عند حده.

- ستتعب هكذا.. عليك أن تتجاهل كثيرا في حياتك ولا تدقق في كل شيء... عش حياتك واترك العناد وإياك أن تكون لكلامي (أذن من طين وأذن من عجين).[1]

عشت حياتي بعدها فسبني القريب، فقلت لصاحبي:

-وماذا عن القريب؟

- لا تستغرب، فقد قالوا قديما «الأقارب عقارب»، ولكن احذر، فـ«أصابعك ما هي سوى»،[2] فلا تجعل أقاربك طبقة واحدة! كما قالوا: «الناس أجناس»، وعش حياتك ولا تكن حساسا!

مشيت بعدها متأملا كلام صاحبي، ولكن سرعان ما سبني الحبيب... فقلت لصاحبي:

-وماذا عن الحبيب؟ ألم تقل لي: «فالغريب من جفاه الحبيب».

(1) أي: الذي يسمع ولا يطبق ما سمعه، وكأنه لم يسمع شيئا.
(2) المثل يضرب لتشابه الشيء مع اختلاف كل واحد منهما في الطبع والأخلاق أو نحو ذلك.

– نعم قلت ذلك، ولكن «لكل مقام مقال». لعل فعل ذلك معك لأنه يخاف عليك ويريد مصلحتك.. ألم تسمع من قال: «من سبك حبك، وضرب الحبيب مثل أكل الزبيب».

تجاهلت هذا الموقف، ولكن كثرت الطعونات من قبل الأحبة وبتكرار فاحش، فرجعت إلى صاحبي ولكنه لم يدعني أكمل كلامي هذه المرة.

قال صاحبي غاضبا:

–هل العيب من كل هؤلاء الناس؟ وأنت دائما الشخص المظلوم؟

– كثيرا ما كذب الناس أنبياءهم.. وأحيانا قد يأتي أكثر من نبي في آن واحد ولا يصدقونهم. كما قال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾.[1] فهل العيب منهم أم ممن كذبوهم؟ لا تلم المكذب به، وإنما لُمْ الكاذبين!

– وهل أنت نبي؟ أم معك صك غفران؟ أم أنك معصوم؟ لا تتفلسف كثيرا.

حزنت حزنًا شديدًا.. وقلت له: صدقت، العيب مني!

وكنت قاصدا بذلك أن «العيب من أهل العيب مو عيب».[2]

(1) سورة يس، آية 14.
(2) مو: ليس.

تركته و مشيت، وبينما أمشي وإذ بعجوز كبير في السن مسكني من عضدي، وقال لي:

-رأيت هذه المواقف التي حصلت لك كلها، موقفا بعد موقف، ونصيحتي لك: «متزعلش على ناس ما تسواش، أنت اللّي أدّيتهم سعر لما كانوا ببلاش».[1]

-زدني بارك الله فيك.

-«من رادك ريدو، ومن طلب الجفا زيدو».[2] وإن رفعت الناس فوق قدرهم، فلا بد أن يأتي اليوم الذي يضعونك دون قدرك. فالناس لا تقدر من يقف بجانبهم لأنهم مضمونون -في نظرهم- وربما يرون أن معروفه إليهم كالواجب عليه! وفي المقابل يحبون من يتجاهلهم أو يحتقرهم، فـ «القطو ما يحب إلا خناقه».[3]

- صدقت.. ولكن هل أفهم من كلامك أن علي أن أتكبر وأظلم؟

- لا.. تواضع دون إفراط. كما قال الشاعر:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر

على صفحات الماء وهو رفيع

(1) مثل مصري. متزعلش: ما تزعل. تسواش: لا تسوى شيئا. أدّيتهم: أعطيتهم. ببلاش: بلا ثمن.

(2) مثل شامي. ومعنى رادك: أرادك. ريدو: أرده. الجفا: الجفاء. زيدو: زده، أي: من جفاك زده جفاء.

(3) القطو: القط. خناقه: الذي يخنقه.

ولا تك كالدخان يرفع نفسه

إلى طبقات الجو وهو وضيع

وإياك والظلم، وتذكر أن «كل ظالم له يوم». قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا

فالظلم مرتعه يفضي إلى الندم

تنام عينك والمظلوم منتبه

يدعو عليك وعيـن الله لم تنـم

- ليس عندي شيء أقوله لك سوى: جزاك الله خيرا أيها الحكيم.

العبرة من القصة: العيب ليس من الناس دائما، وإنما العيب على من أعطى فرصة للناس ليوجهوا سهامهم إليه. وكثرة التواضع تجلب المذلة، لا سيما مع غير الكفؤ، كما قالوا في الأمثال: «من سوا نفسه سبوس لعبت فيه الدياي»![1]

وإذا عرفت نفسك ما ضر ما قيل فيك، فمن ذا الذي يضبط مقالات الناس بالناس؟ كل يؤخذ منه ويرد إلا النبي ﷺ.

(1) مثل دارج في الخليج. سوا: جعل. سبوس: قشر الأرز. الدياي: الدجاج.

وفي هذا قال جعيفران الموسوس:

رأيت الناس يرموني

أحيانا بوسواســـــي

ومن يضبط يا صاحُ[1]

مقال الناس في الناس

(1) صاح: صاحبي.

حفظ السر

أراد سعيد أن يختبر صاحبه حميد، فقال له ذات يوم:

-«عندي سر ولا يسرّ».

-ماذا حصل يا سعيد؟ سرّ ولا يسر؟ قل لي لعلي أساعدك ونتوصل إلى حل يرضيك.. ف»الصديق وقت الضيق».

- «السر إذا جاوز الاثنين شاع».. و»التجارب خير برهان».. ولا أريد أن أخسرك.. فإن انتشر السر سأكون في مصيبة أعظم.. ولن أكلمك أبد الدهر.

- «المجالس بالأمانات».. و«سرك في بير»..[1] متى عهدتني منافقا؟

-حاشا لله.. سأقول لك مصيبتي.. وإذا لم تستطع منفعتي فلا تضرني. و«الصديق الذي لا ينفع كالعدو الذي لا يضر».. اتفقنا؟

- اتفقنا.

-ذات يوم وأنا في البر صوّبت بندقيتي بالخطأ وقتلت نفسا بغير حق ودفنتها مكان ما قتلتها.. وأصابني الهمّ والغمّ لأني أعلم أن «القاتل مقتول».. وكما يقولون: «بشّر القاتل بالقتل ولو بعد حين».

(1) بير: بئر.

- كم عمرها؟

- طفلة صغيرة.

- إنا لله وإنا إليه راجعون.. أين دفنتها بالضبط؟

طأطأ سعيد رأسه وشعر أن حميدا يريد فضحه لأنه بدأ يسأل عن التفاصيل.. وبعد سكوت طويل، قال:

-أثق بك يا حميد.. مع الرغم أنه لا داعي لهذا السؤال.. ولكني دفنتها عند خيمتي ووضعت على قبرها لافتة مكتوب عليها:

«كلُّ من عليها فان».

- هل أخبرت أحدًا عن هذه الحادثة؟

-لم أخبر أحدًا غيرك.. سأحتفظ بهذا السر بيني وبينك.. وهذا السر اجعله بين اثنين ولا أريد سماعه من ألفين!

- لا تقلق يا سعيد.. فأنت «أخي الذي لم تلد أمي».. ولكن ماذا تنوي أن تفعل؟

-لا شيء .. سأستغفر ربي إنه كان غفارًا.. وأفوض أمري إلى الله.. إن الله بصير بالعباد.

- غفر الله لي ولك يا أخي.

انصرف كل منهما إلى بيته، وحينما أراد حميد النوم لم يستطع، وبدأ يتقلب ويفكر بموضوع صاحبه سعيد. فقالت له زوجته:

-ما بالك يا حميد تتقلب وكأنك عملت مصيبة؟

هل تزوجت علي؟

- «أنا في وادٍ وأنتِ في وادٍ آخر».

- إذًا ما بك تتقلب وكأنك قتلت أحدًا بغير ذنب؟

تغير وجه حميد حينما قالت كلمة «قتلت» فتأتأ:

-لا.. لا.. لا شيء.

صرخت زوجته:

-يبدو أنك قد قتلت! يا ناس...

بدأت بالصراخ والعويل فوضع حميد يده على فمها:

-أقسم بالله أني لم أقتل أحدًا.. إنه سعيد قتل طفلة عند خيمته في البر.. ولم أستطع النوم لذلك، وهو صاحب المصيبة ولستُ أنا.. كان الله في عونه.

تكلما في هذا الشأن حتى ناما، وفي الصباح الباكر قالت زوجة حمي د قصة سعيد لجارتها، وجارتها قالت لزوجها. وانتشر الخبر

-مع الزيادة فيه والنقصان منه وليس كما قاله سعيد لحميد- حتى وصل إلى قائد الشرطة، فأمر بالقبض على سعيد وحبسه على قيد التحقيق حتى يستخرجوا الجثة فيحكموا على مصيره.

وبعد يوم من التحقيق مع سعيد ومع من رووا القصة، شكلت اللجنة المختصة أناسًا للتحري على مكان الجريمة، وبعد الوصول هناك وحفر المكان الذي قيل إنه مكان الجثة، اكتشفوا بأنه جثة أرنبة صغيرة!

أطلقوا سراح سعيد وسأله قائد الشرطة عن سبب هذا التصرف ال غريب الذي أحدثه بألفاظه المجملة لصاحبه حميد الذي نشر الخبر.

فقال سعيد:

مجرد اختبار.. وكنت أظن «كل الناس خير وبركة، بس طلعت أنا يلّي على البركة».[1]

قال له قائد الشرطة: «أحبب حبيبك هونا عسى أن يكون عدوك يوما ما». وتيقن إن لم تستطع كتم سرك، قلن يكتمه غيرك. قال الشاعر:

إذا المرء أفشى سره بلسانـــــــه

ولام عليه غيره فهو أحمـــــــق

(1) مثل شامي. يلّي: يا الذي.

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه

فصدر الذي يستودع السر أضيق

العبرة من القصة: قد لا يكون ثمة حكمة في أغلب الأحوال من إفشاء سرك الذي لا يعرفه أحد، وأحيانًا قد يكون فيه حكمة من باب المشورة أو نحو ذلك. وانتبه لقول الشاعر:

احذر عدوك مـــرة

واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق

فكان أعلم بالمضـــرة

إذا كان خصمك القاضي !

كان كمال جالسًا في المطعم يتناول وجبته المفضلة، وفجأة أدخل يده في جيبه ولم يجد محفظته، فقرر الذهاب إلى سيارته ليتأكد إن كانت محفظته هناك أم لا.

ذهب كمال إلى سيارته بسرعة وكان يحمل همًّا أنه نسي محفظته في المنزل وليس في السيارة.. فتح باب السيارة بقوة فوجد محفظته، فحمد الله على ذلك. وحين أراد دخول المطعم مرة أخرى رأى رجلًا يمشي بسرعة ملفتة للنظر، وكان يلتفت يمنة ويسرة.

وصل كمال إلى طاولته وتفاجأ بفقد هاتفه من فوق الطاولة.. ثم ربط فقده بارتباك الرجل وركضه.. سأل النادلَ على الفور:

-أين هاتفي؟ وضعته على الطاولة وحينما ذهبت إلى سيارتي لأجلب محفظتي تفاجأت عند رجوعي بفقده!

- ذاك الرجل الذي خرج حين قدومك أخذه، وقد ظننته صاحب الطاولة.. أرجو المعذرة فقد التبس علي الأمر!

- وما الحل الآن؟

قام رجل من طاولته يُدعى عبد الله وكان يسمع ويرى ما يحصل، فقال لكمال:

قد رأيت وسمعت كل شيء، فإن أردت شهودًا فأنا والنادل نشهد معك، ولا تقلق.

قال النادل: لي الشرف طبعًا.. وأزيدك من الشعر بيتا، عندنا في المطعم كاميرات مراقبة تثبت الواقعة.

قال عبدالله: ممتاز.. وكما يقولون: «زيادة الخير خيرين».

انصرف النادل فأخذ عبدُ الله كمالَ على جنب، وقال له:

-ما اسمك يا سيد؟

- كمال.. ما اسمك الكريم؟

- أخوك عبدالله.

- تشرفت بمعرفتك وأشكر لك شهادتك دون أن أطلبها.. كثر الله من أمثالك.

- عفوا يا أخي كمال.. عندي يقين أن «كما تدين تدان»..

والواجب أن يشهد المرء على أقرب الناس له إن احتيج لذلك.

كما قالوا: «حط راسك بين رجليك واشهد على والديك».

- درر يا أخي عبد الله.

- ركز معي يا كمال..

أظن أني أعرف الشخص الذي سرق الهاتف..

فقد اشتبهت به ولا أدري هل هو الذي أعرفه أم شخص آخر..

دعني أتصرف بطريقتي الخاصة فإن نجحت فبها ونعمت، وإن لم تنجح الخطة فاسلك المسلك القانوني لأخذ حقك.

اتفقنا؟

- شكر الله لك يا عبد الله.. خذ رقم هاتفي وبلغني عما يحصل معك أولًا بأول.

- عفوًا.. وحياك الله في أي وقت.

انصرف عبد الله إلى منزله وبدأ يفكر عما حصل وكيف سيفاتح صاحبه سلمان -المشتبه به- بالموضوع.

وبعد التفكير العميق اتصل على سلمان:

-السلام عليكم يا سلمان.. هل أنت مخاصمني؟

- وعليكم السلام.. أهلا بالصديق الوفي..

منذ زمن بعيد لم نتواصل..ولِمَ أغضب منك؟

- مررت المطعم الليلة ورأيتني ولم تسلم علي.. وأردت أن ألحق بك لأسلم عليك لكنك خرجت مسرعا.. عسى السرعة خيرا؟

ارتبك سلمان:

-المطعم.. آه.. صحيح.. لم أرك والله.. المعذرة.. تعرف كم أنت غال عندي ولا يمكن أن أفرط في السلام عليك حينما أصادفك في أماكن عامة.

- يا سلمان.. يشهد الله أنك عزيز علي وأحبك في الله وكل بني آدم خطاء.. و»خير الخطائين التوابون». أحببت نصحك وحل الموضوع بطريقة ودية.. وهناك شهود وكاميرات.. «اليوم سارق وغدًا مسروق».. فلا تفرح بملكك.. فقد «تصبح بين القصور وتمسي بين القبور».

- أنت تعلم أن أخي قاضٍ.. افعل ما بدا لكم.. سأخرج منها كما يخرج الشعر من العجين!

- انتبه يا سلمان.. «ما ضاع حق وراه مطالب»[1].. ووالله لولا «العيش والملح» ما اتصلت عليك.

أغلق سلمان الهاتف في وجه عبدالله.. فاتصل عبدالله على كمال وأخبره ما حصل. فقال كمال:

(1) مثل دارج في الكويت. وراه: وراءه. مطالب: يطالب بحقه.

-«الحقوق يبيلها حلوق»..[1] ولكن «إذا كان خصمك القاضي من تقاضي؟». وكما قال الشاعر:

إذا كان الأمير عليك خصما

فليس بقابل منك الشهودا

- لا أعلم ما أقول لك.. حاول أن تحل الموضوع بطريقة ودية. «دارهم ما دمت في دارهم، وأرضهم ما دمت في أرضهم». وكما يقولون: «اللّي ما يخاف من الله خف منه».[2]

فأنت تتعامل مع وحوش بشرية.. وتوقع منهم أي شيء.

-صدقت. أفوض أمري إلى الله. فإن كان الله معي فمن علي؟

- وأنا معك ولن أتراجع عن موقفي.. سأدلي بشهادتي في أي وقت أردت.. وهذا رقم سلمان الذي سرق هاتفك.. وكلمه لعل الله يهديه.. ولا أمانع أن تقول له أخذت رقمك من عبدالله صديقك القديم.

- سأفعل بإذن الله، وكتب الله ما فيه الخير.

وفي الوقت نفسه كلم سلمان -السارق- أخاه القاضي فطمأنه أخوه ألا يخاف، والقضية محسومة في صف سلمان كما زعم.

(1) يبيلها: يحتاج إلى. حلوق: جمع حلق. والمقصود أن الحقوق تحتاج إلى لسان يتكلم ويطالب به.
(2) اللّي: الذي.

اتصل كمال على سلمان:

-السلام عليكم. معك كمال.

- مَن كمال؟

- صاحب الهاتف. يا أخي..

- لا أعرفك.. ماذا تريد؟ لا تتصل علي مرة أخرى. وإذا أردت مني شيئا فاذهب إلى المحكمة.

أغلق سلمان الهاتف فور انتهائه من جملته. وقد اندهش كمال من جرأته وثقته وكأن الأمر قد حُسم! وخاطب كمال نفسه قائلا:

يا له من زمن.. حقا صدق من قال: «فوق شينه قواية عينه»![1] الآن خصمي القاضي.. فكيف أقاضي القاضي؟!

رفع كمال قضية على المدعو سلمان ومعه شهود وفيديو مصور من قبل المطعم. وبعد شهرين حان موعد الجلسة، وقدر الله أن القاضي -أخو سلمان- كان مريضًا ومرقدا في المشفى، فلم يحضر الجلسة وأخبر زميله -قاض آخر- بكل ما حصل وأوصاه أن يحكم لأخيه سلمان، فوافق زميله بشرط أن يسمع ويرى من كلا الطرفين.

(1) مثل دارج في الكويت. شينه: الفعل السئ، وهو عكس زين. قواية: قوة. والمثل يضرب للشخص الذي يخطئ ويواجه ويتكلم كأنه لم يفعل شيئا.

وهكذا أحيانا نضطر أن نستخدم أسلوب «أسمعك اللّي تبيه وأسوي اللّي أبيه»[1] لئلا تخسر الذي أمامك.

حضر موعد الجلسة فأعطى القاضي المجال لكمال ليبدأ شكواه ويتكلم عنها.

ذكر كمال للقاضي ما حصل مع إدلاء الشاهدين بشهادتهما وعرض الفيديو الذي صور السارق كيف سرق.. وفي منتصف العرض صرخ سلمان: والله هذا ليس أنا!

قال القاضي: وتحلف أيضا؟

«قالوا للحرامي احلف قال جاكم الفرج»!

وماذا عن أخيك القاضي؟ أم أن أخاك ليس أخوك أيضا؟

سكت الجميع مندهشين..

قال سلمان: ستندمون جميعا!

قال القاضي: يا أخ سلمان، الأمر واضح كوضوح الشمس، ف«الشمس ما يغطيها المنخل».

ثم حكم القاضي باسترجاع الهاتف إلى كمال أو تعويضه بمبلغ مساوٍ لسعر الهاتف في حال لم يرجّع سلمان الهاتف.

(1) اللّي: الذي. تبيه: تريده. أبيه: أريده.

العبرة من القصة: جميل أن يُنصح المخطئ قبل اتخاذ قرار محاكمته أو معاتبته أو نحو ذلك، وهذا من حسن الأخلاق، وكذلك المخطئ إن اعتذر في بداية المطاف فهناك مجال للصلح. ومهما بلغت قوة المخطئ وسلطته فلا بد أن يأتي من هو أقوى منه فيؤدبه، أو يأتيه يوم يرى فيه ما عمل، وكما قيل: «على الباغي تدور الدوائر». ولكن إن كان خصمنا القاضي فهل سنتخذ الإجراءات القانونية لأخذ حقوقنا أم أننا نسكت؟ هذا راجع إلى أمرين: قوة توكلنا على الله أولًا، وثانيًا: يرجع إلى الحكمة والمصالح والمفاسد فيما بينها المعارف وشهرة المرء في المجتمع أو نحو ذلك.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	5
شكر وعرفان وامتنان	7
المقدمة	9
إساءة الظن	13
الدردشة مع الشخص الخطأ!	18
أيهم أفضل البنات أم البنون؟!	23
جمال المنظر أم جمال الأخلاق؟	30
بين معلم وتلاميذ	37
عامل الناس بما تحب أن يعاملوك	40
بين تاجرين	45
إلغاء متعة سببت أوقاتًا أمتع	47
حوار بين اجتماعي وانطوائي	52
بين صالح وصاحب مصالح	57
خذ ما تحتاج دون زيادة أو نقصان	61

الموضوع	الصفحة
حب السلطة دمار شامل	66
نقاش بين متحمس وعجوز حكيم	73
لا تجعل علاقتك بربك علاقة مصلحة	80
المعاند	85
الوسواس	90
لا تعتمد على غيرك في شؤونك	93
التخلص من مصيبة بالغش	97
بداية زواج أم بداية حرب؟	101
لا تتكلم ولن تحسد أو يُمكر بك	104
اتق الله ما استطعت	109
الناس لا تقدرني!	114
حفظ السر	120
إذا كان خصمك القاضي!	125
الفهرس	133